أمثال الشرق والغرب



يوسف البستاني

أمثال الشرق والغرب

أمثال الشرق والغرب

تأليف
يوسف البستاني



أمثال الشرق والغرب

يوسف البستاني

رقم إيداع ٧٦٩٨ / ٢٠١٤
تدمك: ٠ ٧٨٣ ٧١٩ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: وفاء سعيد.

المحتويات

مقدمة	٧
١- العلم والفضل	٩
٢- العمل والاجتهاد	١٧
٣- الكسل	٢١
٤- الصبر	٢٣
٥- الضيق	٢٧
٦- قِصَر الحياة والموت	٣١
٧- المعروف والإحسان	٣٥
٨- الكرم	٣٧
٩- البخل	٣٩
١٠- السعادة	٤١
١١- التعويل على النفس	٤٣
١٢- التواضع والصلاح	٤٧
١٣- الكبرياء	٥١
١٤- الأمانة	٥٣
١٥- القناعة	٥٥
١٦- الحرص، وهو الجشع والطمع	٥٧
١٧- الحسد	٥٩
١٨- مذمة الناس	٦١
١٩- شر الناس	٦٣

٢٠- العدل ٦٥
٢١- الظلم ٦٧
٢٢- الحق والصدق ٦٩
٢٣- الكذب ٧١
٢٤- الغضب ٧٣
٢٥- أمثال صينية ٧٥
٢٦- أمثال مراكشية ٧٧
٢٧- أقوال الحكماء والفلاسفة ٧٩
٢٨- أرسطوطاليس والمتنبي ٨١
٢٩- وصايا مفيدة ٩٧
٣٠- وصايا فتاح هوتب لابنه ١٠١
٣١- إياك ١٠٥

مقدمة

الحمد الله الذي جعل في كل أمة أفرادًا يمتازون عن سواهم بالفضائل والعقول، ويجتازون مجاهل اللهو بسير عقولهم السليمة، فيصبحون أئمة يُقتَدى بقولهم المقبول.

أما بعد، فإن للأمثال مزية لا تُضاهى، ورتبة لا تتناهى؛ إذ هي مطمح أعين الشعراء والخطباء، ومورد الفصحاء والبلغاء، بل هي أرق من الشعر، وأرفع قدرًا من الخطابة. بدررها يتحلَّى جيد الكلام، وبفوائدها يتجلَّى الالتباس والإبهام، حتى قال بعض الأدباء إن الأمثال هي حُلَى المعنى التي تخيرتها الحكماء من العرب والعجم والإفرنج، ودارت على كل لسان في كل زمان.

فلذا اخترت أن يكون موضوع كتابي هذا الأمثال، فجاء — بحمد الله — كتابًا عديم المثال؛ إذ كل من طالع هذا الكتاب الذي جمع أقوال فلاسفة الشرق والغرب لا بد وأن يرى من فوائده الغزار ما يغنيه عن كبير الأسفار؛ وذلك لأني وضعت كل أمثولة وقائلها، وجعلته مميزًا عن بقية كل كتب الأمثال من نوعه بفصول رتبتها على ما هو عليه الآن. ولا غرو فإني مكثت أجمع فيه الزمن الطويل، ونسخته زيادة عن عشر مرات، وأخيرًا ابتلاني الله بمرض كاد يقضي عليَّ وعلى أتعابي الكثيرة، لولا مهارة وعناية حضرة ابن العم الدكتور عبد الله أفندي البستاني، فأشكره وأحفظ له جميلًا وافرًا، وأحمد الله أولًا وآخرًا.

مصر في ١٧ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٢

يوسف توما البستاني

الفصل الأول

العلم والفضل

قال الإمام علي — كرَّم الله وجهه: ليس الجهل عارًا، وإنما العار في رفض تحصيل العلم.

العلم ذكر لا يحبه إلا ذكر من الرجال. ما مات من أحيا علمًا، ولا افتقر من مَلَك فهمًا.

العلم صبغ النفس، وليس يفوق صبغ الشيء حتى ينظف من كل دنس. أشرف الأشياء العلم، والله تعالى عالم يحب كل عالم.

ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم؟ بل أي شيء فات من أدرك العلم؟ الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك.

تعلَّموا العلم فإنه زين للغنيِّ وعون للفقير. عدمُ الآداب سبب كل شر. احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه.

العلم أفضل الكنوز وأجملها، خفيف المحمل عظيم الجدوى، في الملأ جمال وفي الوحدة أُنس.

لا تُحدِّث بالعلم السفهاء فيكذِّبوك، ولا الجُهَّال فيستفتنوك، ولكن حدِّث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم، يفهم عنك ما تقول، ويكتم عليك ما يسمع؛ فإن لعلمك عليك حقًّا، كما أن عليك في مالك حقًّا: بذله لمُستحقِّه، ومنعه من غير مُستحقِّه.

الجاهل صغير وإن كان شيخًا، والعَالِم كبير وإن كان حدثًا.

وقال:

كن ابن من شئت واكتسب أدبًا ... يغنيك محموده عن النسب
إن الفتى من يقول ها أنا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

وقال أيضًا:

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الذي قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب

وقال الأستاذ بولانو من كتاب في التلمود له:

طوبى للابن الذي يتلقى العلم عن أبيه، وطوبى للأب الذي يعلِّم ابنه.
كاسب الحكمة من يرضى بالعلم من حيث أتى. مناظرة العلماء تزيد العلم.

وقال الحسن بن علي: العلم أكثر من أن يحصى.

وقال سليمان بن وهب: أحق الناس بالتفضل أهل الفضل.

وقال نصر بن سيار: كل شيء يبدو صغيرًا ثم يكبر إلا المصيبة، فإنها تبدو كبيرة ثم تصغر، وكل شيء يرخص إذا كَثُر خلا الأدب، فإنه إذا كَثُر غلا.

وقال عبد الحميد بن يحيى: القلم شجرة ثمرها المعاني، والفكر بحر لؤلؤه الحكمة.

وقال الأبئيهي: قال بعض السلف: العلوم أربعة: الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنجوم للأزمان، والبلاغة للسان.

وقال ابن حزم الأندلسي: الباخل بالعلم ألوم من الباخل بالمال؛ فإن الباخل بالمال أشفق من فناء ما بيده، والباخل بالعلم بخل بما لا يفنى بالنفقة ولا يفارقه مع البذل.

وقال الشبراوي: العلم خليل المرء، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والرفق والده، والصبر أمير جنوده.

وقال أبو حنيفة: إن لم يكن العلماء أولياء الله في الأرض، فليس لله فيها وليٌّ.

وقال سليم عنحوري:[1] مهما سعوا في تحسين المدارس، فالأزمان أحسن منها إن لم تقم مقامها.

وقال قاسم أمين:[2] أقل مراتب العلم ما تعلَّمه الإنسان من الكتب والأساتذة، وأعظمها ما تعلَّمه بتجاربه الشخصية في الأشياء والناس. طلب العلم عندنا وسيلة لمزاولة صناعة

[1] هو الشاعر الدمشقي الشهير.

[2] هو نصير المرأة المسلمة، ومؤلف كتاب «المرأة الجديدة» و«تحرير المرأة».

أو للالتحاق بوظيفة؛ أي لكسب المال، أما حب الحقيقة والاستغراق في تحصيلها والشوق إلى اكتشاف المجهول ومغالبة الصعوبة والاهتمام بترقية النفس، وبالإجمال: التعلم للتعلم، فلا فائدة فيه، والفائدة كل الفائدة في هذا الذي لا فائدة فيه.

وقال مصلح الدين سعدي:[٣] ينال المرء من العلم خيرًا لا يناله من النسب والمقام والغنى. العاقل من يطلب العلم، فإن سوق العلم رائجة أبدًا. اطلب العلم ولو في أباعد الأرض. لا تصلح أمورك إلا بالمعرفة.

وقال محمود الشاعر:[٤] الكتب قلوب الناس في أيدي الناس. الحكماء في دنيا غير هذه الدنيا. إذا لم تكن عالمًا فكن عاقلًا. الجرائد شعراء هذا العصر، والمحامون خطباؤه، والأطباء أمراؤه. من صبر على التعلم صبر على كل شيء. الحياة دولة ملكها العقل ووزراؤها العلم والتجربة والفضيلة.

وقال فلوطرخس: العثور على العلم الصحيح مصدر الأمانة والفضيلة.

وقال ده لافونتين: ليقل الجهل ما يشاء، فإن للعلم قيمة لا تُنكر.

وقال مونتانيه: العلوم والفنون لا تفرغ في قالب إفراغًا، ولكنها تنمو نموًّا وتُتقن بالمزاولة. لا بد للفضيلة من مسلك وعَر تسلك فيه.

وقال ميجل ده سرفنتس: القلم لسان العقل.

وقال أرسطوطاليس، سئل: كم يَفضُل المتعلمون على غير المتعلمين؟ فقال: مقدار ما يَفضُل الأحياء على الأموات. العلم حلية في الرخاء وعون في الشدة. العلم خير زاد للشيخوخة.

وقال شكسبير: لا تنجو الفضيلة من لؤم الشاتم.

وقال سيكا الحكيم: إني أميز الرجال بعقلي لا بعيني.

وقال الإسكندر المكدوني: أُفضِّل أن أفوق غيري في الفضائل على أن أفوق في اتساع الملك والسلطان.

وقال سقراط الحكيم: الخير الوحيد هو العلم، والشر الوحيد هو الجهل. مال العالم معه حيث سلك.[٥]

[٣] هو الشيخ مصلح الدين سعدي الشاعر العجمي الشيرازي.

[٤] هو الأستاذ محمود الشاعر الإسكندري.

[٥] عَنَى بذلك أن مال العالم هو العلم، فليس يفارقه بوجه من الوجوه.

وقال أبيكتيتس: العقل ينظم الأمور، فيجب ألَّا يترك من غير تنظيم. التعلم يبقى في شبابه ولو للشيخ.

وقال يوربيدس: من أهمل العلم في حداثته أضاع الماضي والمستقبل.

وقال شرنتيوس: يا إلهي! ما أشد الفرق بين العالم والجاهل!

وقال بيليوس: التأخر في العلم ولا الجهل.

وقال نابوليون بونابرت: الجاهل يُسأَم، وأما مُدَّعي العلم ادعاءً فلا يُطاق.

وقال فولتير: إذا لم يكن الله موجودًا وجب علينا أن نفرض وجوده.

وقال الأب أنطونيوفياره: أحسن صورة للإنسان ما يكتبه.

وقال سنار: قل لي ما تقرأ من الكتب وأنا أقول لك من أنت.

وقال بعضهم: الرجل القليل العلم ينمو نموَّ الثور: يزداد لحمه لا عقله. ولو صوِّر العقل لأضاء منه الليل، ولو صوِّر الجهل لأظلم معه النهار.

وقال سليمان الحكيم: طوبى للإنسان الذي يجد الحكمة وللرجل الذي ينال الفهم؛ لأن تجارتها خير من تجارة الفضة، وربحها خير من الذهب الخالص، هي أثمن من اللآلئ، وكل جواهرك لا تساويها، في يمينها طول أيام، وفي يسارها الغنى والمجد.

وهاك قصة وليم كوبت النحوي الإنكليزي، قال: إنني تعلمت النحو وأنا جندي، ومقعدي سريري، ومائدتي قطعة لوح، وأتممته في أقل من سنة، ولم يكن لي من المال شيء لأبتاع سراجًا أدرس في نوره ليلًا، فكنت أدرس على نور النار عندما تأتي نوبتي للقيام أمامها، فإذا كنت قد بلغت مرامي وأنا فقير ولا أب لي ولا صديق ولا منشط، فما عذر غيري مهما كان فقيرًا متعبًا متضايقًا. وكنت ألتزم أن أبقى بلا أكل لكي أشتري قلمًا وقرطاسًا، ولم أكن أحصل على دقيقة من الوقت. وكنت أكتب بين قهقهة عشرات من الرجال الطائشين وصفيرهم وخصامهم. ولا تحتقر الفلس الذي كنت أدفعه ثمن الحبر أو الورق أو القلم؛ لأن ذلك الفلس كان عندي بمثابة بدرة من المال عند غيري، إذ لم يَفِضْ معي في الأسبوع غير غرش واحد. وأذكر الآن أنه فاض معي مرة قطعة بعشر بارات لا غير، فحفظتها لكي أشتري بها طعامًا لليوم التالي، ولكن لما نزعت ثيابي في المساء وكنت أكاد أموت جوعًا، نظرت فإذا القطعة ضائعة، فغطيت رأسي بردائي وأخذت أبكي كالطفل. فإن كنت أنا قد تغلبت على ذلك الضنك الشديد ونجحت، فهل بقي عذر لأحد من الشبان؟

وقال ملتون: من أَعدم كتابًا مفيدًا فكأنه قتل رجلًا، ومن يقتل رجلًا يقتل مخلوقًا عاقلًا هو صورة الله، وأما من أعدم كتابًا نافعًا فقد قتل العقل نفسه.

وقال شيشرون: أقدر أن أقرأ كتبي في كل وقت؛ لأنها دائمًا غير مقيدة بمواعيد.

وقال أفلاطون: عطية العالم شبيهة بمواهب الله عزَّ وجلَّ؛ لأنها لا تنفد عند الجود بها، ولكنها توجد بكمالها عند مفيدها.

ومن أمثال الإنكليز:

يصيب أهل العلم ما يصيب سنابل الحنطة التي تعلو وتشمخ قبل البلوغ، فإذا بلغت وامتلأت حَبًّا انحنت وطأطأت رءوسها.

أكثر ما ربحه العلم هو من الكتب التي خسر بها طابعوها.

سُئل أحد القدماء: ماذا تعلمت من الفلسفة؟ قال: تعلمت أن أعيش بالسلام مع جميع الناس. الحكيم يتعلم ممن لا علم له.

لا عار على الإنسان أن يتعلم ما لم يعلم مهما كان سنه.

العلم في الشباب حكمة في الشيخوخة. العلم كنز مفتاحه العمل. الحكيم يستفيد من أعدائه أكثر ما يستفيده الجاهل من أصدقائه.

الفضل وحده نسب كريم. الفضل يكسب المرء شهرة في الأرض. الفضل قد يُحجب أحيانًا ولكنه يسطع أخيرًا. قلم الإنسان يجب أن يغط بمداد القلب.

اخدم الفضيلة في أيام الشباب وهي تخدمك في الشيخوخة.

إذا عاشرت الفضلاء عدَّك الناس واحدًا منهم. إذا عرفت نفسك لم يجهلك أحد.

القلم لازم، فإنه إن لم يكن فيه سحر فهو الضابط الذي يمنع العقل عن الشرود والتيه.

الكتب والجرائد أسلحة بطيئة العمل في هدم الضلال، ولكنها شابة أكيدة.

قد يصير الإنسان عالمًا بعلم غيره، ولكنه لا يصير حكيمًا إلا بحكمة نفسه.

يقول من لا يرى إلا الخير في الدنيا: إن القرطاس صُنع من جناحي ملاك المعرفة. ويقول من لا يرى إلا الشر فيها: بل صُنع منه جناحَا ملاك الموت؛ لأنه لم يخترع الإنسان ولا الشيطان شيئًا أفظع مما يفعله القرطاس، فهو يفطر القلوب، ويثل عروش الملوك، ويقلب نظام الأمور.

درهم من الحكمة خير من رطل من الذكاء. الحكيم يصلح عيوبه من النظر إلى عيوب غيره.

زلات الفضلاء تذاع بين الناس أكثر من فضائلهم.

أوسمة الشرف لمن لا فضل له كطغراء الملك على النقود الزيوف.

اللقب الشريف قد ينتقل إلى الولد، وأما الصفات التي تشرف الإنسان فمن الكمالات التي لا تُنقل، ولو استطاع المرءُ أن يورِّث فضائله أو يقف عقله وعلمه لوارثيه كما يفعل بأمواله، لكان الشرف الموروث أثمن المزايا.

الشرف امتياز وهمي ما لم يكن مصحوبًا بممارسة الفضائل التي يحق أن تُكتسب.

إذا أردت مشورة صالحة فاطلبها من شيخ.

ومن أمثال اليابانيين:

التعلم الصالح لا يحتاج إلى معجزات. الحكيم يخلط ماله. الشاعر يرى العالم أجمع وهو في بيته.

من فضيلة العلم أنك لا تستطيع أن يخدمك فيه أحد كما يخدمك في سائر الأشياء، وإنما تخدمه بنفسك، ولا يستطيع أحد أن يسلبك إياه كما يسلبك غيره من المقتنيات.

اطلب في الحياة العلم والمال تَحُزِ الرئاسة على الناس؛ لأنهم بين خاص وعام، فالخاصة تُفضلك بما تُحسن، والعامة تفضلك بما تملك.

الفرق بين الإبانة والبلاغة أن الإبانة لا تكون إلا لموجود، والبلاغة تكون لموجود ومفروض.

الشرير العالِم يسرُّه الطعن على المتقدمين في علمه، ويسوؤه بقاؤهم؛ لأنه يُؤْثر أن يُعرَف وحده بذلك العلم؛ لأن الغالب عليه شهوة الرئاسة والغلبة. والخَيِّر يسوؤه فَقْد أحد من طبقته في العلم؛ لأن رغبته الازدياد من العلم وإحياء علمه بالمذاكرة.

من تعلم العلم لفضيلته لم يوحشه كساده، ومن تعلمه لجدواه انصرف عنه بانصراف الحظ عن أهله إلى ما يكسبه.

وقالت العرب: من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره.

يا نفس خوضي بحار العلم أو غوصي ... فالناس ما بين معموم ومخصوص
لا شيء في هذه الدنيا نحيط به ... إلا إحاطة منقوص بمنقوص

* * *

إذا لم يذاكر ذو العلوم بعلمه   ولم يستفد علمًا نسي ما تعلَّما
فكم جامع للكتب في كل مذهب   يزيد مع الأيام في جمعه عما

* * *

علمي معي حيثما يَمَّمْتُ يتبعني   قلبي وعاء له لا بطن صندوقي
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي   أو كنت في السوق كان العلم في السوق

الفصل الثاني

العمل والاجتهاد

قال مركوس أوريليوس: كثيرًا ما يفرط الإنسان في إهمال العمل كما قد يفرط في العمل. كلما صادرك عمل سل نفسك: هل أندم إذا فعلته؟ احصد حصاد الحياة كما تحصد سنابل الحنطة البالغة. لكل موجود غاية، فما هي غاية وجودك؟ إن قلت هي اللذَّة، فالعقل يخالفك في ذلك. إذا لم يكن الشيء حلالًا فلا تفعله، وإذا لم يكن حقًّا فلا تقله. لا يزعجني إلا أمر واحد فقط؛ وهو إذا عملت شيئًا لا يبيحه الطبع البشري، أو لا يبيح كيفيته، أو لا يبيح الزمن الحاضر. يجب أن تُقدَّر قيمة المرء بالمطالب التي يسعى إليها. لا تعمل شيئًا بلا تبصُّر وغرض مقصود، ولْتكن كل أعمالك عائدة لخير العموم. اعتنِ بالأمر الذي أمامك سواء كان رأيًا أو قولًا أو فعلًا. كل ما تدعوك إليه عزة النفس بادر إليه في الحال بلا تردد ولا ارتياب. مرِّن نفسك ولو على الأشياء التي تيأس من عملها، وخذ مثالًا على ذلك اليد اليسرى؛ فإنها أقدر على ضبط العنان من اليمنى بسبب التمرين.

وقال أفلاطون: لا تستوفِ شرائط الأعمال وما يوجبه لها العدل في الأزمان المضطربة، فيضِعْ سعيك، وتُنسب إلى التخلف فيما تعانيه، ولكن ناسب بعملك طبيعة الزمان، ما لم يقدح ذلك في مروءتك ودينك وأخلاقك، فإذا بلغ هذه الثلاثة فخلِّ عما في يدك منها، وإلا خسرت من نفسك أكثر مما تربحه في ذات يدك. لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويدَه، فإنَّ الناس لا يسألون في كمٍّ فرغ، وإنما ينظرون إلى إتقانه وجودة صنعه.

وقال سليمان الحكيم: أرأيت رجلًا مجتهدًا في عمله أمام الملوك يقف؟

وقال شكسبير الشاعر الإنكليزي: المشقة في السعي إلى العمل، لا في العمل نفسه. كل من يمدح نفسه إلَّا في العمل، فهو يفني العمل في المدح. لو كانت السنة كلها أيام عطلة ولَهْو لكان اللهو مملًّا كالعمل. الأفكار أحلام لا تصح إلا إذا ظهرت في العمل.

وقال نابليون بونابرت:[١] لا يتقن الإنسان عمله إلَّا بنفسه. ما كل امرئ أهلًا ليكون ربَّ بيت.

وقال بلينيوس الأكبر: لا يجوز التأخر في أعمال الزراعة، بل يجب أن يعمل كل شيء في ميعاده، وإذا ذهبت الفرصة لم تَعد. كان إبلس المصور إذا صوَّر صورة عرضها حيث يراها المارون، وجلس وراءها متخفيًا يسمع ما ينتقدون به عليها، فمرَّ إسكاف ورأى صورة من صوره معروضة فقال: إن سير الحذاء أوطأ مما يلزم. فسمع إبلس انتقاده وأصلح السير، ثم مرَّ الإسكاف في اليوم التالي، ورأى السير قد أُصلح فأخذته الجراءة وأخذ ينتقد الساق، فخرج إليه إبلس قائلًا: إن انتقاد الإسكاف يجب ألَّا يتعدى الحذاء. فذهب قوله مثلًا.

وقال مرقس أوريليوس: اسع ما دامت الفرصة سانحة، ولا تتلفت حولك لترى هل يراك أحد، وسُرَّ بما تناله من النجاح ولو كان قليلًا؛ لأن القليل لا يلزم أن يكون حقيرًا. تنجو من الأوهام إذا عملت كل عمل من أعمالك كأنه آخر ما تعمله. الحياة حرب وسفر في بلاد غريبة، والشهرة بعدها ظل زائل. أحبِبِ الصناعة التي تعلمتها واكتفِ بها. أعمال الإنسان الأولى تخفيها أعماله التالية كما تخفي الكثبان المتراكمة. العمل على مقتضى الطبع أو على مقتضى العقل واحد لدى العقلاء.

وقال بيليوس: طرِّق حديدك ما دام حاميًا. المزاولة خير المعلمين. ما يعمل بالسرعة لا يعمل بالحكمة. من يحاول عمل شيئين في وقت واحد لا يعمل شيئًا.

---

[١] نابليون وهو يرقب السماء في أخريات أيامه:

قالوا لنابليون ذات عشية ... إذ كان يرقب في السماء الأنجما
هل بعد فتح الأرض من أمنية؟ ... فأجاب: أنظر كيف أفتتح السما

خليل المطران

وقال فلوطرخس: إن أشد ما ندم عليه ثلاثة؛ الأول: ائتمانه امرأة على سر. والثاني: سفره بحرًا حيث يستطيع أن يسافر برًّا. والثالث: قضاؤه يومًا كاملًا من غير أن يعمل فيه عملًا ذا شأن. إنما الكلام ظِل العمل. سُئل ديونيسوس الكبير: هل أنت بلا عمل؟ فقال: معاذ الله أن أُبلى بذلك. مقياس الحياة ما يُعمل فيها من عمل صالح.

وقال الإمام علي: أفضل الأعمال أن تموت وذكرك رطب بذكر الله سبحانه.

وقال بولانو من كتاب له في التلمود: خير لك أن تسلخ جلد الميتة في الشوارع وتقبض أجرة من البطالة والتوكل على الصدقة. النهار قصير والعمل عظيم والعامل كسلان. قل قليلًا واعمل كثيرًا. متى كانت السوق كاسدة فاشترِ، وإذا راجت فاكفف.

وقال الإمام عمر بن الخطاب: إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول: أله حرفة؟ فإن قالوا: لا. سقط من عيني.

وقال تنيسن:[٢] كن حازمًا، جاهد وجد وأجد ولا تستسلم.

وقال أون فلثام: من لم يتعلم صناعة ولا عملًا فهو حقير.

وقال هسيودس: الاجتهاد يزيد ثمرة العمل، والمهمل يصارعه الخسران.

وقال يوربيدس: الجدُّ أبو الشهرة.

وقال بلوتس: كلٌّ يحصد ما يزرع.

وقال دي بارتاس: الذي يجيد عمله لا يكون قد تأخر فيه.

وقال ميجل ده سرفنتس: الاجتهاد أبو السعد. لم تُبنَ رومية في يوم واحد.

وقال محمود الشاعر: قد أفلح من كان فيه لسن المحامي، ووقار القاضي، ورفق الطبيب، ودهاء السياسي، وسحر الشاعر، وصبر المعلم، ووداعة الزاهد، وإقدام الجندي، وحرص التاجر. أربع صفات لا بد لصاحبها أن يسود: «عفاف، وإقدام، وحزم، ونائل».

وقال سليم عنحوري: الناس مبصرون، ولكن عن قيمة الوقت عميان.

وقال بعضهم: العمل يُبعد عن الإنسان ثلاثة أعداء: «الملل، والرذيلة، والفاقة».

وقال أغناطيوس لوبولا: من يفعل جيدًا عملًا واحدًا في وقت واحد، يفعل كثيرًا.

ومن أمثال الإنكليز: الزمان والكلام والعمل تعلن شأن الإنسان. لا رفعة بلا جهاد صادق، ولا عظمة بلا جهاد النفس. المفتاح المستعمل لا يصدأ، جرب مهارتك أولًا

[٢] شاعر إنكليزي شهير.

بماء الذهب ثم بالذهب. أعظم ما تغيظ به حاسدك حسن العمل والاجتهاد. بالفعل لا بالقول يجري العمل. بالفعل لا بالقول يُجنى الثمر. لرجل الإقدام يصير الاحتمال ترجيحًا والترجيح تأكيدًا. التجارة أم المال. التجارة لا تعرف صديقًا ولا قريبًا، السفر مصلحة للعاقل ومفسدة للجاهل. إذا أردت مشورة صالحة فاطلبها من شيخ. الجدُّ ينشط الجسد والعقل، وهو علة النجاح. إذا أردت أن تفوق في شيء، وجب أن تفوق أولًا بالجدِّ. كن مستقيمًا شجاعًا، ولا تخف من الشيطان وأعماله. الإنسان يعاقب على العمل، والله يعاقب على النية. أعمال الشجاعة لا تحتاج إلى بوق. اعمل أكثر مما تُعطَى أجرة، فإنه قلما يؤجر المرء على كل عمله. كان أول الناس بستانيًّا وفلاحًا وراعي غنم. أعظم الفرق بين الشرف والاستقامة في الباعث على العمل، فإن المستقيم يعمل ما يراه واجبًا، والشريف يعمل ما يراهُ لائقًا برفعة شأنه. اكتشاف مصدر جديد للسعادة في الأرض أفضل من اكتشاف سيَّار جديد في السماء. الأرزاق التي تنال بالجد أثبت غالبًا من الأملاك التي تأتي بالإرث. البطالة خير من عمل السوء.

ومن أمثال الترك: من لم يعانِ الأكدار لا يعرف قدرَ المسارِّ. الشروع نصف العمل. خُلق الإنسان ليربح السعادة باجتهاده. الشروع نصف العمل. لم أرَ معوجًّا شَبِعًا ولا مستقيمًا جائعًا. من يتأمل متاعب الآخرين ير متاعبه يسيرة. دع الدراهم البيض للأيام السود. الرجل يُوجِد من الحجارة خبزًا. الاجتهاد نصف العبادة. الزمان أبو العجائب.

ومن أمثال اليابانيين: ثواب العمل الصالح كالرطب الذي يبطأ حلاوة ونضجًا. الأيام صحائف الأعمار، فخلدوها بأحسن الأعمال.

وفي المثل البرازيلي: الحازم لا حاجة لإرشاده.

وقالت العرب: إن النفس لتمل الراحة كما تمل التعب.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام الكرائم

الفصل الثالث

الكسل

قال شكسبير: التَّعِب ينام على وسادة من الحجر فيستريح، وأما الكَسِل الذي يطلب الراحة، فلا يجدها على وسادة من الريش.

وقال مرقص أوريليوس أنطونيوس: إذا أقعدك الكسل عن النهوض باكرًا، فقل لنفسك: إني قائم لأعمل عمل الرجال.

وقال بونابرت: لا يمكننا أن نتمم عملًا ونحن نيام.

وقال الإمام علي: يا عالم، قد قام عليك حجة العلم، فاستيقظ من رقدتك.

وقال هزيود: لا حقارة في الشغل، إنما الكسل حقارة، هي كل الحقارة.

وقال جرمي تيلر: تجنب الكسل والبطالة، ولا تستعفِ من عمل مهما كان شاقًّا؛ لأنه إذا كان العقل بطَّالًا والجسد في راحة، وجدتِ الشرور إليه سبيلًا، وما من رجل بطال قوي البنية قدَر على مقاومتها، ولا عمل أفضل من الأعمال الجسدية لمقاومة الشر.

وقال جون هيود: لا مستحيل على أهل العزيمة.

ومن أمثال الترك: الكسلان يحب أكل اللوز، ولكن لا يحب أن يتعب في تكسير قشره. انتقل الكسلان من زاوية إلى أخرى فقال: «قد سحت سياحة.» ليس الفقر عارًا للمرء، وإنما عاره الكسل.

وقالت العرب: الكسلان أخو الشحاذ.

فلا أُؤَخِّر شغل اليوم عن كسلٍ إلى غدٍ إن يوم العاجزين غدُ

الفصل الرابع

الصبر

قال مصلح الدين سعدي العجمي: إذا كنت صبورًا كنت سعيدًا. الصبر خلق الأنبياء. الصبر يأتيك بما تبتغيه، وهو مفتاح لما تتوق إليه. كن صابرًا إذا كنت عاقلًا، فإن العجلة من الشيطان.

وقال شكسبير: لا ترض الدهر الظلوم بأن تزينه بأحزانك. الغالب من يحارب الأهواء والأماني. هلم نذكر مصائب غيرنا لعلنا ننسى مصائبنا. على الصديق أن يحتمل عيوب صديقه. لا خير فيمن تغلب عواطفه على عقله.

وقال الإمام علي: من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرأي، ومن أخطأته وجوه المطالب خذلته الحيل، ومن أخل بالصبر أخل به حسن العاقبة، فإن الصبر قوة من قوى العقل، وبقدر مواد العقل وقوتها يقوى الصبر. عوِّد نفسك الصبر على جليس السوء، فليس يكاد يخطئك. ليس الحلم ما كان حال الرضا، بل الحلم ما كان حال الغضب. من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس، صلح أن يكون سائسًا. لكل نعمة مفتاح ومغلاق؛ فمفتاحها الصبر، ومغلاقها الكسل.

وقال مركوس أوريليوس: لتكن حاجتك قليلة، ولا تبث همك إلى أحد. كل ما يحدث إنما يحدث بنوع؛ إما أنك مجبول بالطبع لاحتماله، أو لعدم احتماله، فإن كان مما تحمله بالطبع فلا تشكُ، وإن كان مما لا يستطيع طبعك أن يحتمله فلا تشكُ، ولكن اذكر أنك قادر بالطبع أن تحتمل ما تعلم أنه يكون لك منه فائدة، أو ما يجب احتماله. في كل مكان وزمان لك طاقة على التسليم بحالتك الحاضرة والإنصاف لمن حولك من الناس.

وقال بونابرت: الملك يقوى على الشدائد.

وقال أفلاطون: لا تفارق طاعة الرأي والصبر في كل أمورك، فإنك إن لم تحرز الحظ الذي تبغيه، كنت قد أحرزت العذر.

وقال لارشفوكول: كلٌّ يحسب أنه يستطيع أن يصبر على مصائب غيره. كل مصيبة تكون أمثولة.

وقال بولانو: كن المشتوم لا الشاتم، وكن من الذين يُجَار عليهم لا من الجائرين. الصبر أحيانًا خير من الغنى. ما من أحد عديم الصبر لدى أصحاب الدين. الصمت سور محيط بالحكمة. لكل إنسان فرصة ولا محالة.

وقال بيليوس: الصبر دواء لكل حزن.

وقال فلوطرخس: الصبر يغلب الشدة.

وقال بلوتوس: الصبر خير دواء لكل الأدواء.

وقال تنيسن: اصبر على مقاومة الباطل حتى الموت فلا تخسر خير الحياة.

وقال شافير: يجب أن نعتبر بمصائب الغير.

وقال الأحنف بن قيس: من لم يصبر على كلمة يسمع كلمات.

وقال حسن بن سهل: لا يصلح للصدر إلا واسع الصدر.

وقال مصطفى كامل:[١] لا معنى للحياة مع اليأس، ولا معنى لليأس مع الحياة.

وقال سليم عنحوري: إن لم تقتل الغم فالغم يقتلك، فإما أنت وإما هو.

وقال ملر:[٢] إنني أنسب نجاحي إلى اعتمادي على الصبر، الأمر الذي يقدر كل إنسان أن يجاريني أو يفوقني فيه، ولا ريب عندي أن الصبر إذا استُعمِل حق الاستعمال نتجت منه نتائج خارقة للعادة لا يقدر على بلوغها من كانت له موهبة خاصة.

وقالت الإنكليز: ترقب الزمان والمكان فيما تقصده، ولا تعجل. خير للإنسان أن يحتمل الشر من أن يعمله. الزمان والتأمل يخففان أعظم الأحزان. أعظم المصائب عدم القدرة على احتمال المصائب. لا تصبر حتى تزول الشدائد، فإن الفخر في التغلب عليها.

وقالت الترك: بالصبر يصير الحصرم حلوى. الحصول على غير المستحيل يضمنه الصبر والثبات. إذ لم يوافقك الزمان وافقه. من يتأمل متاعب الآخرين ير متاعبه يسيرة.

---

[١] هو المرحوم مصطفى باشا كامل رئيس الحزب الوطني المصري، ومؤسس جريدة اللواء، توفي سنة ١٩٠٨ عن ٣٥ عامًا.

[٢] عالم عظيم من علماء الجيولوجيا.

وقالت العرب: الصبر مفتاح الفرج.

بالصبر تبلغ ما ترجوه من أمل   فاصبر فلا ضيق إلا بعده فرج

* * *

إنـي رأيت وفـي الأيـام تـجـربـة   لـلـصـبـر عـاقـبـة مـحـمـودة الأثـر
وقـلَّ مـن جـد فـي أمـر يـؤمـلـه   واستصحب الصبر إلا فاز بالظَّفَر

الفصل الخامس

الضيق

قال بيليوس: الدهر لا يكتفي ببليَّة واحدة. لا يدوم سرور لا تنوُّعَ فيه. الخوف من الموت أشرُّ من الموت. الحكيم من استفاد من مصائب غيره.

وقال مركوس أوريليوس: لا يصاب أحد بما لم تُعِده الطبيعة لاحتماله. لا تقنط ولا تيأس إذا عملت أعمالك باستقامة وحسن نية ولم تُقرن بالنجاح دائمًا. حوادث الدهر تتوالى مثل ورد الربيع وثمر الخريف. كل ما يحدث فحدوثه واجب. ما أتاك من ضيق فمن العدل؛ لأنك اخترت الصلاح غدًا لا اليوم. مهما أصابك فهو مكتوب لك من الأزل. متى شعرت بالهم والغم لأمر أصابك، فقد نسيت أن كل ما يحدث إنما يحدث تبعًا لنواميس الكون، ونسيت أنه إذا أضرك أحد فليس ذلك من شأنك، ونسيت أن كل ما يجري قد جرى كذلك دائمًا، وسيجري كذلك وهو جارٍ الآن في كل مكان.

وقال الإمام علي: الدنيا جمة المصائب، مُرة المشارب، لا تُمتِّع صاحبًا بصاحب. الدنيا طواحة طراحة فضاحة أسيَّة جراحة. أصابت الدنيا من أمنها، وأصاب الدنيا من حذرها.

وقال شيشرون: العاقل لا يضيق به الأمر إلا وهو في سعة.

وقال ترنتيوس: يليق بالعاقل أن يلجأ إلى كل شيء قبل ما يلجأ إلى السلاح. على الناس إذا صلحت حالهم أن يفكروا في كيف يقابلون المصائب.

وقال يوربيدس: مهما اشتدَّت الرزايا لم تخلُ من أبواب الفرج. خير ما يلاقيه الرجل زوجة ترثي لبلواه. نسيان المصائب ربح أكيد.

وقال ميجل ده سرفنتس: البلايا لا تأتي فرادى. الزمان يصلح كل شيء. قلبي لين كالشمع، ولكنه شديد الاحتمال كالصخر.

وقال تنيسن: تصفو الحياة أو تكدر بحسب ما ننتظر من فرح أو ترح. قد يتخذ الإنسان من عثراته مراقي يرتقي بها إلى ما هو أعلى.

وقال شكسبير: إذا لم تكن سعيدًا فذلك لأنك تطلب ما ليس لك، وتنسى ما عندك. من علَّمته التجارب فهو حكيم.

وقال بولانو في كتابه التلمود: دُم طالبًا رحمة من الله إلى أن تلقى على قبرك الحفنة الأخيرة من التراب. من كان فيه شعور الحياء لا يسرع إلى عمل الخطاء. احمد الله على السرَّاء كما على الضراء. إذا كانت أبواب السماء مغلقة عن الصلاة، فهي مفتوحة للدموع. لا يُساءَل الإنسان عما يقوله في كآبته. خير لك أن تأكل البصل وتجلس في الظل من أن تأكل الدجاج والأرز ولك منه تعب القلب.

وقال سقراط الحكيم: لو وضعت مصائب الناس كلها في كومة واحدة، وأُبيح لكل واحد أن يختار منها ما شاء؛ لاختار كلٌّ مصيبته واستردها.

وقال بتاكوس: لكل امرئٍ مصيبة ومصيبتي امرأتي، والسعيد من له مصيبة واحدة.

وقال فلوطرخس: استشر الزمان فهو أحكم مشير.

وقال فدروس: سلم للبلية الحاضرة لئلَّا يصيبك شرٌّ منها.

وقال سينكا: يُمتَحن الذهب بالنار، والرجال بالتجارب.

وقال دي برتاس: تصاب الذاكرة بالشلل كما تصاب بخيبة الأمل.

وقال دنتي: أشد الحزن إذا تذكَّر الإنسان أفراحه وقت أتراحه.

وقال فكتور هيكو: المنتحر لا يكون دائمًا مجنونًا، لكن على الإطلاق يكون تعيسًا.

وقال جون هيود: لا يُعرف الصديق إلَّا في الضيق.

وقالت الإنكليز: إذا أصاب الضيق اثنين كان الضيق أخف. السقوط في الشَّرك سهل ولكن الخروج منه صعب. الزمان يمتحن كل شيء. أخف الشرور ما جاء وحده. متى بلغت النوائب حدها زالت. لكل جرح بلسم. لا فرح بلا حزن. الهم الذي يجيء من عدم التروي يجب أن يُجمَّل بالصبر. ما من أحد أفلح ولم تصبه شدة. ارتكاب الشر غير جائز مطلقًا، وأما احتماله فجائز إذا كان فيه دفع شر أعظم منه. إذا رميت نفسك إلى بئر، فليس للعناية أن تنشلك منها. صحافة الرجل يجب أن تكون أعظم أسراره.

ساعة حزن أطول من يوم سرور. كن بشوشًا أبدًا ما أمكن، فإن الحزين لا يسر أحدًا. لا يقنط الرجل الصالح ولو أصابته أعظم الرزايا. أبعِد الحزن عنك ما أمكن. دع الهم إلى أن يأتي يومه.

ومن أمثال اليابانيين: إذا أبغضك إنسان فادعُ له بطول العمر.

ومن أمثال الترك: إذا أغلق الله بابًا فتح ألفًا.

الفصل السادس

قِصَر الحياة والموت

قال أفلاطون: تصرُّف الإنسان وحاله في سائر عمره يشبه الشيء الكوني؛ لأنه يبتدئ من أخفض حال ثم يرتفع قليلًا حتى يبلغ نهايته، ثم ينقص مثل ما يزيد، حتى يعود إلى ما ابتدأ. (ومن بعض وصاياه لتلاميذه): لتكن عنايتكم في دنياكم بما يصلح معاشكم، وفي دينكم بما يرضي خالقكم عنكم. ابكِ على العاقل يوم يموت، وعلى الأحمق حتى يموت.

وقال بولانو: ما الحياة إلا قرضة يطلبها الموت يومًا ما.

وقال تنيسن: آه منك أيها الموت! علام تترك البَئِس الذي يكره الحياة وتأخذ النفس الجذلة التي تهواها؟ آه، متى يصير الخير العام أنموذج الحياة؟ عش عفيفًا وقل الحق وأصلح الخطأ وأطع حكم العقل، وإلا فحياتك باطلة. أكدار الحياة الدنيا دليل على دوام الحياة الأخرى، وإلَّا فما الدنيا إلَّا ظلام حالك، وكل ما فيها تراب ورماد. نسير إلى القبر في الخطأ والحزن، وهو السبيل الذي سار فيه أسلافنا. الحياة خاضعة للموت، والحكمة تقتضي أن يخضع الإنسان للقدر. إذا انقضت الحياة فالحكم علينا لله لا للناس. إذا كانت الحياة سارَّة فلماذا نُسَرُّ كلما انقضى عام منها. الموت يحيي آخر كلام يفوه به الميت، ويبقى كنقش الضريح بعد فناء ما فيه. مت في سبيل صالح فتُبكى وتكرم.

وقال الإمام علي: أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من قبوركم، ويوم وقوفكم بين يد الله عزَّ وجلَّ، يهُنْ عليكم المُصاب. موت الرؤساء أسهل من رياسة السفلة. موت الصالح راحة لنفسه، وموت الطالح راحة للناس. إن لم تعلم من أين جئت لم تعلم إلى أين تذهب. يا ابن آدم، هل تنتظر إلا هرمًا حائلًا أو مرضًا شاغلًا أو موتًا نازلًا؟ نحن نريد ألَّا نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت. لكل دار باب، وباب دار الآخرة الموت.

وقال مركوس أوريليوس: عما قريب يغطينا التراب جميعًا، ثم يتغير التراب، وما ينشأ من هذا التغيير يتغير أيضًا، وهكذا إلى الأبد، فإذا تأمل الإنسان في هذه التقلبات المتعاقبة كتعاقب الأمواج ونظر إلى سرعة سيرها، احتقر كل ما هو فانٍ. عما قريب تنسى كل شيء، وعما قريب ينساك كل واحد. انظر إلى كل ما هو كائن، فتراه ينحل ويتغير ويفسد ويتفرق، وترى أن كل شيء مجبول بالطبع لينتهي إلى الموت. اذكر أن الذين تضجروا من نوائب الدهر والذين اشتهروا بالصيت الذائع والذين نالهم حظ من الأسواء والعداوة قد هلكوا كلهم، ولم يكن من أمرهم إلا دخان ورماد وقصة تُحكى أو لا تُحكى. ما أقصر ما قُدِّر للإنسان من الزمان! وما أضيق القسم الذي يشغله من المكان! وما أصغر البقعة التي يدب عليها من مجموع الأرض! فلا شيء كبير إلا العمل الصالح. لا تعش كأن لك عشرة آلاف سنة ترميها ضياعًا، فإن الموت واقف عند بابك، فأصلح الشيء ما دمت حيًّا وأنت قادر عليه.

وقال شكسبير: الحياة عزيزة لكل إنسان، وأما للرجل الباسل فالشرف أعز منها. حياتنا أحلام ثم تنتهي برقاد الموت.

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

يموت الجبان مرارًا قبل موته، وأما الشجاع فيموت مرة واحدة. لا يذكر الناس من أعمال الميت إلا ما كان شرًّا، وأما العمل الصالح فيدفن معه.

وقال مرقس أنطونيوس: الموت قريب ولن تعمر دهورًا طوالًا، فاصنع الخير ما دمت حيًّا. الموت سر من أسرار الطبيعة. لا تزدري الموت، بل انظر إليه بعين الرضا؛ لأنه مما قضت به الطبيعة.

وقال يوربيدس: من يدري أن الحياة ليست موتًا وأن الموت ليس حياة؟

وقال بيليوس: الكل سواء أمام الموت. عش كل يوم كأنه آخر أيامك.

وقال صفوقليس: ليس الموت شر البلايا، بل شرها أن تطلب الموت ولا تجده. الموت خير من المذلة.

يا أيها الموت يا شافي الكروب ويا طبيب من لا يرى طبًّا لبلواه
زرني سريعًا فعيشي كله ألم والجسم إن زرته راح تولاه

وقال الأستاذ بولانو في كتابه التلمود: تُبْ قبل موتك بيوم (ولأنك لا تعلمه فكن تائبًا دوامًا)، تب اليوم لئلا تُدعى غدًا للمحاكمة. إذا شئت أن تنجو من الخطيئة تأمل لهذه الأشياء الثلاثة: من أين أتيت؟ وإلى أين تذهب؟ ولمن تعطي حسابًا عن كل أعمالك؟ وهو الله القدوس المتعال.

وقال أبيكتيتس: ارفع عينيك إلى الله وقل: استعملني كما تشاء، إني منك، وعقلي من عقلك، فلا أرفض شيئًا تريده، فقُدْني إلى حيث تريد، وألبسني اللباس الذي تختاره.

وقال بلوتوس: السعيد من مات في شبله.

قال فلوطرخس عن الإسكندر: بكى الإسكندر لما سمع من إنكسرخس أن العوالم غير محدودة، فسأله أصدقاؤه: هل أصابه شيء؟ فقال: أتحسبون أنه لا يحق لنا أن نبكي وفي الدنيا هذا المقدار من العوالم، ونحن لم نتغلب حتى الآن على واحد منها.

وقال سرفنتس: لكل داءٍ دواءٌ إلا الموت، فإنا مأخوذون به لا محالة.

وقال دي بارتاس: الخوف من الموت كامن لنا في كل وسيع وخندق وفي حفيف ورق الأشجار.

وقال مونتانيه: لندع الطبيعة تجري مجراها، فإنها أدرى منا بنفسها.

وقال لارشفوكول: يصعب إمعان النظر في الموت كما يصعب إمعانه في الشمس.

ومن أمثال الإنكليز: أبطائل الحياة نهر ذاهب أبدًا وآتٍ أبدًا. القبر مجتمع عام. أعظم أعمال الحياة التأهب للموت. الزمان يفترس كل شيء. ما الموت إلا خادم ينزع عنا ثيابنا الوسخة بعدما نقطع مستنقعات الأرض وأوحالها، ويلبسنا أثواب القصب والأرجوان. من كان ضميره مطمئنًّا نام والرعود تقصف.

ومن أمثال اليابانيين: الحياة ظل زائل لا كظل برج أو شجرة يدوم برهة، بل كظل عصفور طائر يصير فلا عصفور ولا ظل.

الفصل السابع

المعروف والإحسان

قال مصلح الدين سعدي: اغلب الدنيا بالإحسان والمعروف. كن سيدًا في عالم الخير والإحسان. الإحسان صفة الصالحين، وما يتوجب على المفلحين. المعروف خير الدواء لكل الأسواء.

وقال شكسبير: ألسنا إخوة؟ هكذا يجب أن يكون الإنسان أخًا للإنسان، غير أن خزفًا يختلف عن خزف في القيمة ولو كانا من طينة واحدة.

وقال مركوس أوريليوس: إذا عملت شيئًا للخير العام فقد نلت ثوابك، فاذكر ذلك دائمًا أيها الإنسان، ولا تكفَّ عن عمل الخير.

وقال الإمام علي: اشكر لمن أنعم عليك، وأَنعِم على من شكرك. إذا سألت لئيمًا حاجة فغافصه، فإنه إن فكَّر عاد إلى طبعه، وإذا سألت كريمًا حاجة فدعه يفكر، فإنه لا يفكر إلا في خير. لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غد، فإنك لا تعرف ما يعرض في غد. ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سبب رحمة الله عليكم. بالرفق تنال الحاجة وبحسن التأني تسهل المطالب. من أداء الأمانة المكافأة على الصنيعة لأنها كالوديعة عندك.

وقال بونابرت: الجميلة تبهج العيون، وأما الصالحة في القلب، الأولى حلية والثانية كنز.

وقال لارشفوكول: الاعتراف بالمعروف كثيرًا ما يتولد عن الرغبة في زيادة المعروف. الإسراع في إيفاء الجميل إنكار للجميل.

وقال تنيسن: أحسن إلى الناس ما استطعت ولا تضر أحدًا. ليس العبرة بالمواعظ تنشرها على الملأ، ولا بالنصح تلقيه إلقاء الرفيع فيكرهه الوضيع، بل بتعزية الحزين ومساعدة المحتاج.

وقال سينكا: يجب علينا أن ننتحل أعذارًا للجميع: فللأولاد لأنهم صغار، وللنساء لأنهن ضعيفات، وللحكام لأن مهامهم عظيمة، فلا بد لهم من الخطأ، وللصالحين لأنهم لا يقصدون الإساءة، وللأشرار لأنهم يستحقون الشفقة؛ إذ الشقاء مستقبلهم.

وقال شيشرون: عمل الخير اختياري، ولكن رده إلزامي.

وقال إسخولس: الكلام الطيب بلسم العقل المريض.

وقال بولانو: الحسنات التي نعملها في هذه الدنيا تتشخص وتلاقينا في الآخرة.

وقال قاسم أمين المصري: فعل الخير حسن وأحسن منه ستره.

وفي المثل البرازيلي: العمل الحسن لا يضيع ولو مات صاحبه.

وقالت الإنكليز: إذا أردت الاسم الحسن فكن كما تريد. غرفة المريض معبد. ما من شيء يعود على النفس بالسرور كعمل المعروف والكلام اللطيف. من ينكر الخير من الناس لا خير فيه. لطف المرء خير دافع لفظاظة الناس.

وقالت الترك: الإنسان لا لحمه يؤكل ولا جلده يُلبس، فماذا فيه عدا هذا غير حلاوة اللسان؟ الكلام بلطف يفتح الأبواب الحديدية. لا لذة للإنسان كصنع الإحسان. ساعد المحتاج يساعدك الله. الطائر الغريب يبني الله عشه.

وقالت العرب: صنائع المعروف تقي مصارع السوء. عاون على الخير تسلم ولا تجزه فتندم.

زيادة المرء في دنياه نقصان   وربحه غير محض الخير خسران

* * *

والخلق كلهم عيال الله تحت ظلاله
وأحبهم طُرًّا إليه أبرُّهم لعياله

الفصل الثامن

الكرم

قال الإمام علي: السخي شجاع القلب، والبخيل شجاع الوجه. ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا ذل له. عجبًا لمن قيل فيه الخير، وليس فيه كيف يفرح، وعجبًا لمن قيل فيه الشر، وليس فيه كيف يغضب. الكريم يلين إذا استُعطف، واللئيم يقسو إذا لوطف. إذا غضب الكريم فألن له الكلام، وإذا غضب اللئيم فخذ له العصا ... مكارم الأخلاق عشر خصال: السخاء والحياء والصدق وأداء الأمانة والتواضع والغيرة والشجاعة والحلم والصبر والشكر. إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان، فلا يعجبنك ذاك؛ فإن زوال الكرامة بزوالها، ولكن ليعجبنك أن أكرمك الناس لدين أو أدب. أسوأ ما في الكريم أن يمنعك نداه، وأحسن ما في اللئيم أن يكف عنك أذاه. من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه، وحنينه إلى أوطانه، وحفظ قديم إخوانه.

وقال شكسبير: على الكريم أن يلازم الكريم؛ لأنه لا يقوى على عشراء السوء مهما كان شديد العزم.

وقال أفلاطون: أفضل الأسخياء من ملك فاقته ولا يسمح فيها بشيء من فضائله. الكريم يؤثرك بخلوته عند الرئيس، فيذكر له ما وعدك به، والنذل يجتنيها لنفسه.

وقال مصلح الدين سعدي: إذا أكرمت أكرمك الناس قاطبة. لا شيء في الدنيا أفضل من الكرم. إذا جُدت كنت سعيدًا. الكرم حصاد الحياة. الله كريم فكن كريمًا.

وقال أبو بكر الخوارزمي: الكريم من أكرم الأحرار، والكبير من حقر الدينار.

وقال بولانو: الضيافة من أعمال عبادة الله. من يتصدق على الفقراء أعظم من موسى.

وقال ثرنتيوس: أكرم المرء بما يستحق.

وقالت الإنكليز: الهدية ترحب المكان. الغنى عدو الإنسان. ليس الجود العطاء بسخاءٍ بل بحكمة.

وقالت العرب: الخيِّر مرزوق. إذا طعمت أشبع. أصل المحاسن كلها الكرم، وجميع خصال الخير من فروعه.

ولا تمنعَنْ ذا حاجة جاء راغبًا　　فإنك لا تدري متى أنت راغب

الفصل التاسع

البخل

قال أفلاطون: أنقص البخلاء من منع ما يكُفُّ غيره، ولا يصل إليه عوده. البخلاء يكون عفوفهم عن عظيم الذنب إليهم أسهل من المكافأة على صغير الإحسان.

وقال الإمام علي: البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل من ماله، والسخي يبخل من عرضه بمقدار ما يسخو من ماله. أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه. الشح أضر على الإنسان من الفقر؛ لأن الفقير إذا وجد اتسع، والشحيح لا يتسع وإن وجد.

وقال مصلح الدين سعدي: لو ملك البخيل نصف الدنيا لم يذكره واحد بخير. مهما كثرت أموال البخيل لا يزال عرضة للضيق كما لو كان فقيرًا. الكريم يتمتع بلذة ماله، والبخيل يتألم لما عنده من المال.

وقال بولانو: طيور السماء تحتقر البخيل. شر البخيل كشر من يعبد الصنم.

قال تيفونس: مال الإنسان لا يرافقه إلى قبره.

وقال بيون، سُئل عن رجل غني بخيل، فقال: إنه لا يملك أمواله، ولكن أمواله تملكه.

وقال جعفر بن يحيى: شر المال ما لزمك إثم مكسبه، وحُرِمت الأجر من إنفاقه.

وقال عبد الله بن المعتز: بشِّر مال البخيل بحادث أو وارث.

وقال محمود الشاعر: ثلاثة من عبدة الأوثان: البخيل والعاشق والمتملق. البخيل بخيل ولو والدًا، والأحمق أحمق ولو عالمًا.

وقال قاسم أمين: الرجل البخيل يجمع المال لثلاثة أنفس وهم أبغض خلق الله إليه: لزوج امرأته متى مات، ومرأة ابنه متى زوَّجه، ولزوج ابنته متى تزوجت.

وقال الشيخ نجيب الحداد:[1] لا يعرف مقدار نفسه مثل البخيل، فهو ينفق عليها بمقدارها.

وقال بعضهم: مَثَل الأغنياء البخلاء كمثل البغال والحمير، تحمل الذهب والفضة وتعتلف بالتبن والشعير.

ومن أمثال الإنكليز: المسرف يسلب وريثه، والبخيل يسلب نفسه.

ومن أمثال اليابانيين: البخيل محتقر حتى لدى طيور السماء. البيت الذي يُغلق أمام الفقير يُفتح أمام الطبيب.

وقالت العرب: البخيل يعيش عيشة الفقراء في الدنيا، ويُحاسب حساب الأغنياء في الآخرة.

أرى الناس إخوان الكريم وما أرى بخيلًا له في العالمين خليل

* * *

ومَنْ طلب الحوائج من بخيل كمن طلب العظام من الكلاب

وقال عنترة العبسي:

لا يخرج الزئبق من كفه ولو ثقبناها بمسمار
يحاسب الديكَ على نقرة ويطرد الهرَّ من الدار
يكتب في كل رغيف له حرسك الله من الفار

[1] شاعر مشهور ومترجم جملة روايات، منها: رواية «غصن البان»، ورواية «الفرسان الثلاثة».

الفصل العاشر

السعادة

قال سليمان الحكيم: مُحِب الفرح إنسان مُعوِز، ومحب الخمرة والدهن لا يستغني.

وقال مركوس أوريليوس: قد عرفت من الخبرة أن السعادة ليست في المباحث العقلية، ولا في الغنى، ولا في الشهرة، ولا في الملذات، ولا في مكان. فأين هي إذن؟ هي في عمل ما يقتضيه العقل، وهو أنه لا خير للمرء إلا الانقياد إلى المبادئ التي ينشأ منها العدل والعفة والمروءة والحرية، وأن لا شر له إلَّا في مخالفة ما ذكر.

وقال مرقس أنطونيوس: السعادة لا تحتاج إلى كثير. سعادة الإنسان أن يعمل ما يليق به عمله.

وقال الإمام علي: السعيد من وُعظ بغيره، والشقي من اتعظ به غيره. من سعادة المرء أن يطول عمره ويرى في أعدائه ما يسره.

وقال شكسبير: الإنسان سيد بخته، وفي معظم الأحوال التي يخيب فيها الملامة على نفسه لا على نجمه. الهدوء والسكينة هما رائدَا الفرح. وما أقل سروري إذا كنت أستطيع أن أصفه لك. متى قضى السعد بأعظم الخير لأحد شزره المتوعد.

وقال بولانو: سئل شيخ فاضل عن السر الذي أكسبه شيخوخة سعيدة خالية من الهموم، فأجاب: لم أخزن أبدًا في قلبي غضبًا على عائلتي، ولم أحسد أبدًا من هو أعظم مني، ولم أشمت أبدًا بسقوط أحد ما.

وقال أبقراط: الإنسان لا يقدر أن يعيش براحة إلا إذا كان يعيش بشرف وعدل وحكمة، وإذا عاش على الحكمة والعدل والشرف، فمن المستحيل أن يعيش على غير الراحة.

وقال جوبرت: حُسْن حالنا وسوؤها متوقفان علينا، والباقي على الله.

وقال ثيودر باركر: أواه! حبذا لو كنت عرفت فن الحياة، أو وجدت كتابًا أو إنسانًا يعلمني كيف كان يعيش؛ لأعرف كيف أعيش وأدرس وأروض بدني.

وقال سكوباس: إننا — نحن معشر الأغنياء — نحسب السعادة في الكماليات، لا في الحاجيات.

وقال سرفنتس: السعد خير من القيام الباكر.

وقال قاسم أمين: كلما أردت أتخيل السعادة تمثلت أمامي في صورة امرأة حائزة لجمال المرأة وعقل الرجل.

وقال سليم عنحوري: بينك وبين السعادة حُجَّاب ما دام على النساء حجاب.

وقال أبيكتيتس: لا تتألم بمخالفة غيرك مقتضى الطبع؛ لأنك لم تولد لتشارك الناس في سيئاتهم، بل في حسناتهم، فإذا رأيت أحدًا أساء فتعس، فاعلم أن من أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، وأن الله خلق الناس للسعادة لا للشقاء.

وقال هيلويز: الحب الحقيقي لا يتم إلا بإسعاد المحبوب.

وقال روشيرون: الحصول في الزواج على كامل السعادة يقتضي له محسنات جمة، ومن الحماقة أن يحاول أحد الزوجين أن يطلب في رفيقه اتصافه بجملتها، فعليه أن يتحقق أولًا وجود أهمها فيه، حتى إذا انضم إليها غيرها كان راضيًا، وإن نقصت استغنى عنها.

وقال سنا: حيث تكون النقاوة توجد الحياة، وحيث تكون الحياة يوجد الحب، وحيث يوجد الحب تكون السعادة.

وقالت الإنكليز: بالمقابلة يسعد الإنسان ويشقى. أسعد الحياة حين لا حاجة للكماليات ولا للضروريات. السعيد في كل شيء أندر من العنقاء. من لهم أصدقاء صادقون فهم الأغنياء. غاية الغايات أن تكون السعادة في البيت، فإذا لم نكن سعداء هناك فلا نكون سعداء في مكان آخر. السعادة ثمر، إذا لم ينمُ في بيوتنا، فمن العبث أن نطلبه في بساتين الناس. إذا أصابنا النحس، عرفنا ما هو السعد. السعادة مشارب، ولا جدال في الذوق، «وللناس فيما يعشقون مذاهب».

وقالت العرب: تحتاج لثلاثة لتكون سعيدًا: عافية الجسد، وصحة العقل، وسلامة القلب.

الفصل الحادي عشر

التعويل على النفس

قال مونتانيه: كان الربان في قديم الزمان يقول لإله البحر: إن هلاكي في يدك، ونجاتي في يدك، ولكن ذلك لا يحول دون إحكامي دفة سفينتي.

وقال يوربيدس: ثق بنفسك ثم استعن بالله، فإنه يعين من يعين نفسه.

وقال يوحنا ستورت مل: قيمة المملكة تتوقف على قيمة أفرادها. إن الاستبداد لا يضر كثيرًا ما دام كل شخص مستقلًّا بنفسه، ولكن كل ما يحطم الاستقلال الشخصي هو استبداد مهما اختلفت أسماؤه.

وقال الإمام علي: من يعجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز. من عرف نفسه فقد عرف ربه. إذا أيسرت فكل الرجال رجالك، وإذا أعسرت أنكرك أهلك. اعلم أن الذي مدحك بما ليس فيك إنما هو مخاطب غيرك، وثوابه وجوابه قد سقط عنك. من لم يصلح خلائقه لم ينفع الناس تأديبه.

وقال عمر بن الخطاب: من كتم سره كان الخيار في يده.

وقال شكسبير: إذا كنا في نعمة فهي لا تدوم إلا إذا كتمناها. لا أحد أقوى من نفسك على إرشادها إلى الخير.

وقال تنيسن: فيَّ قوة عشرة رجال؛ لأن قلبي طاهر.

وقال مكماهون: أنا هنا وسأبقى هنا.[١]

[١] قاله وهو أمام حصن ملاكوف في سباستوبول، وقد حذر من البقاء هناك خوفًا من انفجار الألغام بعد هزيمة الروس.

وقال مركوس أوريليوس: طب نفسًا ولا تطلب عونًا أو راحة من أحد؛ فإن المرء يجب أن يقف منتصبًا من تلقاء نفسه، لا مستندًا من غيره. أنا لا أختار قبول معروف لا أقدر على مقابلته بالمثل.

وقال ده سرفنتس: القليل في جيبك خير لك من الكثير في جيب غيرك.

وقال فلوطرخس: على قائد الجيش أن يرى ما أمامه وما وراءه في وقت واحد.

وقال جندي لبلوبيداس: وقعنا بين الأعداء. فقال: لماذا تقول وقعنا بينهم ولا تقول وقعوا بيننا؟

وقال مرقس أنطونيوس: لا تفعل شيئًا على غير رغبتك، ولا تؤثر نفسك، ولا تعتد بها، ولا تدع الظرف يتغلب على أفكارك، لا تكن مهذارًا ولا مشغالًا. ما مضى فات، والمستقبل غيب ولك الحاضر، وهو مثل شعرة من الزمان، فالحياة قصيرة، ومقام الإنسان في الأرض ضيق.

وقال ديوجنس: سُئل طاليس: ما هو أصعب شيء؟ فقال: أن يعرف الإنسان نفسه. وسئل أيضًا: ما هو أسهل شيء؟ فقال: أن ينصح لغيره.

وقال بيليوس: تعلَّم أن ترى في بلايا الغير ما يجب عليك اجتنابه.

وقال لويس الرابع عشر ملك فرنسا: أنا المملكة.[٢]

وقال يوحنا هنتر: من توهَّن المصاعب عزمه لا يفلح، ومن يتغلب عليها ينجح.

وقال رو الشاعر: إن الحكماء وأولي العزم يغلبون المصاعب، وأما الحمقى والبلداء فيعتريهم الرعب حالَمَا ينظرون المشقة والخطر وهم يخلقون المصاعب.

وقال بولانو: إذا كشفت سرك لثلاثة عرفه عشرة.

وقال دزرائيلي: إننا نعتمد على الشرائع أكثر مما يجب، وعلى الإنسان أقل مما يجب. إني شرعت في أمور مختلفة مرارًا كثيرة، ولم أنفك عنها حتى نجحت فيها النجاح المطلوب، فسيأتي وقت تسمعونني فيه برضا.[٣]

[٢] قاله لقاضٍ كان يكثر من قول الملك والمملكة.

[٣] قيل إن هذا الرجل العظيم حبطت كل مساعيه الأولى؛ لأن أول كتاب ألَّفه عدَّه الناس علامة على جنونه، وكذا الكتاب الثاني، فغيَّر نسق تأليفه، وألف ثلاثة كتب أخرى نهج فيها منهج أهل السياسة فنجح، ولما دخل مجلس النواب الإنكليزي وخطب فيهم الخطبة الأولى، ضحكوا على كل جملة عنها هزؤًا بها، ولكنه ختم خطبته بهذه العبارة التي تُحسَب إنباءً بما وصل إليه.

وقالت اليابان: ابحث سبع سنوات قبل أن تصدِّق خبرًا. لا تبُحْ بأسرارك لخادمك.

وقالت الترك: مَنْ عنده الإدام قدر خبزه لا تراه جائعًا.

وقالت الإنكليز: لا تركنن إلى نصرة العظام، ولا إلى مدح الناس. لا تترك نصح نفسك ولو كثر الناصحون لك. ارقب عدوك كأنه أسد ولو كان فأرة. من بُحتَ له بسرِّك فقد صرت له أسيرًا. إذا كثرت المنشورات ارتبك الإنسان. يُقضى على القاضي متى قضى ببراءة المذنب. يجب أن نهتم للمستقبل اهتمامًا لا يحرمنا لذة الحاضر؛ لأنه ليس من الحكمة أن نشقى اليوم مخافة أن نشقى غدًا. لا عار في الاقتصاد؛ لأنه خير للمرء أن يعيش بالقليل من أن يسرف بالكثير. أليس للإنسان أن يحتمل الشدة من أن يحتمل العار؟

وقال الطغرائي:

وإنما رجل الدنيا وواحدها   من لا يُعوِّل في الدنيا على رجل

الفصل الثاني عشر

التواضع والصلاح

قال يوربيدس: إذا مات الصالح لم يمت صلاحه بل بقي حيًّا، وإذا مات الشرير مات كل ماله ودُفن معه.

وقال مركوس أوريليوس: لا يتم الصلاح إلا بمراعاة المبادئ العامة التي يتعلق بعضها بطبع الكون والبعض الآخر بالطبع الخاص بالإنسان. لا سبيل لك مع الناس إلا المحبة لهم، فانظر إلى فضائلهم بالمدح، وإلى ذنوبهم بالإشفاق والرفق، وإلى أذاهم بالصفح. اجعل حياتك صادقة مستقيمة إلى غاية ما يمكن، واصنع بالهدوء ما يوجبه الزمان والعمل، ولا تشغل نفسك بالهم فيما قد يأتي به المستقبل. إذا انتهجت الصلاح والحياة والصدق والفطنة والشهامة فاحرص عليها، وإذا عدلت عنها فارجع إليها في الحال. كما تكون أفكارك هكذا تكون أخلاقك. لا تتشدق فيما يجب أن يكون المرء عليه من الصلاح، بل كن كذلك. كيف يمكن أن الله الذي أتقن كل أمور الكون وأظهر إحسانه للبشر يهمل أهل الصلاح الذين تقربوا إليه متى جاء الموت ويقضي عليهم بالفناء والانقراض؟!

وقال تنيسن: أحسبت الاختيار حياة نبيلة المقاصد كثيرة الأصدقاء خالية من الضوضاء؟ إياك والعجب والافتخار بالمقام والنسب، وإياك والنميمة والحقد، ودونك حب الصدق والحق وكل ما فيه خير.

وقال شكسبير: الاتضاع سلم الارتفاع.

متواضع والنبل يحرس قدره وأخو التواضع بالنباهة ينبل

وقال فلوطرخس: الصلاح يعدي، فإن الذي يراه يتوق إلى العمل به.

وقال سقراط: إن الطالح يحيا ليأكل ويشرب، والصالح يأكل ويشرب ليحيا. أراد فيلبس مرة أن ينصب خيامه في مكان ثم قيل له إنه لا مرعى فيه لدوابه، فقال: إذن يجب علينا أن نقيم حيث يرضى حميرنا.

وقال بيليوس: بصلاح الحال يصطنع الأصدقاء، وبسوئها يمتحنون.

وقال مرقس أنطونيوس: إليك عن التباهي.

وقال سينكا: الصالح يمتلك مملكة.

وقال مصلح الدين سعدي: إذا جعلت التواضع شأنك صار لك الناس خلَّانًا. التواضع يرفع الإنسان ويزين رجال المناصب. العاقل يختار النظر إلى الغصن المثقل والمتدلي على الأرض. التواضع يحبب الناس بك، ويرفع شأنك عندهم، ويفتح لك باب الجنة.

وقال عبد الملك بن مروان: أفضل الناس من عفا عن قدرة، وتواضع عن رفعة، وأنصف عن قوة.

وقال أبو مسلم: ما تاه إلا وضيع، ولا فاخر إلا لقيط، ولا تعصب إلا دخيل.

وقال الإمام علي: لا تحتقر صغيرًا يمكن أن يكبر، ولا قليلًا يمكن أن يكثر. التواضع إحدى مقايد الشرف. العَجَب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة، ولا يخاف عقوبة الديان وهي دائمة. أنعم الناس عيشة من تحلى بالعفاف، ورضي بالكفاف، وتجاوز ما يخاف إلى ما لا يخاف.

وقال بولانو: كن مطيعًا لرئيسك، ولطيفًا للصغير، وصدوقًا للكل. لا تحتقر أحدًا، ولا تعد شيئًا محالًا، فإن لكل أحد زمانًا، ولكل شيء مكانًا. إذا مات الصالح خسرته الدنيا، إذا كان بك شيء رديء فقله أنت. علِّم لسانك أن يقول: لا أدري. من يكظم غيظه غفرت آثامه.

وقال قاسم أمين: حق الطريق رد السلام وغض البصر وكف الأذى وهداية الضال وإغاثة الملهوف.

وقالت اليابان: احترم كل شخص كما تحترم أباك. الابن الصالح مسرة للوالد.

وقالت الترك: يموت الحمار ويبقى جله، ويموت الإنسان وتبقى آثاره.

وقالت الإنكليز: العاقل يجاهد أبدًا في طلب الحكمة، والجاهل يظن أنه قد وجدها.

وقالت العرب: التواضع سلم الشرف. من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس.

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة   فـإن رفـيـع الـقـوم مـن يـتـواضـع

الفصل الثالث عشر

الكبرياء

قال الإمام علي: لا تهضمن محاسنك بالفخر والتكبر. التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه.

ورافعٍ نفسه بالكبر يخفضها تدنو ويحسبها تعلو به درجا

وقال دنتي: الإنسان غريب الأطوار متكبر ومتقلب.

وقال مصلح الدين سعدي: يا ابني، إياك والكبرياء لئلا يذهب عنك الخير. الكبرياء من عادات الجاهل، لا من صفات العاقل. الكبرياء منبع النكبات، فإذا عرفت ذلك لماذا تتكبر وتخطئ؟

وقال أبيكتيتس: أيها الإنسان، ألا تتحمل أخاك الذي أبوه الله وهو وأنت من جبلة واحدة ومحتد واحد؟ وإن رفعتك الأقدار إلى منزلة عالية، أفتجعل نفسك طاغية عتيدًا؟

وقال فلوطرخس: نصَّب قاضيًا ثم رآه يصبغ لحيته فعزله وهو يقول: من يخدع بشعره لا يؤتمن في أعماله.

وقال جون هيود: الكبرياء يعقبه العار.

وقالت العرب: لا يتكبر إلا كل وضيع، ولا يتواضع إلا كل رفيع.

إذا شئت أن تحيا سليمًا من الأذى فلا تؤذِ مخلوقًا ولا تتكبر

الفصل الرابع عشر

الأمانة

قال الإمام علي: أداء الأمانة مفتاح الرزق. لا تضع سرك عند من لا سر له عندك.

وقال مصلح الدين سعدي: كن ثابتًا في الأمانة، وإلا كانت مساعيك باطلة. إذا لم تصرف نفسك عن الأمانة أعزك الأعداء. إذا لم تتحول عن سبل الأمانة، لم يخجل وجهك عند مقابلة أصحابك. إذا فصلت عن أحبابك، خنت ما توجبه عليك الأمانة.

وقال المغيرة بن شعبة: تارك الإخوان متروك.

وقال شكسبير: لا أحسب نفسي سعيدًا في شيء كما في تذكُّري أصحابي الأخيار. نكران الجميل أشد وقعًا من سيف الغادر.

وقال ميجل ده سرفنتس: الأمانة خير سياسة.

وقال بولانو: من يختلس من قريبه شيئًا ولو فلسًا، فهو شرير كمن يقتل نفسًا. من لا يوفي بوعده كمن يعبد الأصنام. لا تلقِ حجرًا في البئر التي تستقي منها. خيرٌ لك أن تُزجَّ في أتون من النار من أن تفضح أحدًا.

وقالت الإنكليز: لا خداع كخداع من تأتمنه فيخونك. من اللؤم أن تخون إنسانًا وثق بك. جرِّب صديقك بأكذوبة، فإذا أسرَّها فبُح له بالسر. من الحكمة ألَّا يطلب الإنسان كشف سر، وإذا عرفه فمن الأمانة ألَّا يُعلنه. كن على ما تتظاهر به، وتظاهر بما أنت عليه.

وقالت العرب: وعد الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل.

وارعَ الأمانة والخيانة فاجتنب   واعدل ولا تظلم يطيب المكسب

* * *

إذا قلت في شيء نَعَمْ فأتمه   فإن نَعَمْ دين على الحر واجب
وإلا فقل لا تسترح وترح بها   لئلا يقول الناس إنك كاذب

الفصل الخامس عشر

القناعة

قال الإمام علي: من رضي بما قُسم له، استراح قلبه وبدنه.

وقال ابن حزم الأندلسي: اقنع بمن عندك يقنع بك من عندك.

وقال مصلح الدين سعدي: يا إنسان، إذا حُزت القناعة كان لك سلطة في عالم الراحة. إذا عضتك أنياب الفقر، فاذكر أن عند الحكماء ليس الغنى بشيء. الفقر لا يعيب المرء. الذهب والفضة فخر الأغنياء، وأما الفقراء فلهم خلو البال.

وقال محمد بن الحنفية: من كرمت عليه نفسه، هانت عليه الدنيا.

وقال مرقس أنطونيوس: قال الحكيم: إذا أردت الهناء، فلا تكثر مشاغلك. أحبب الصناعة التي تعلمتها واكتفِ بها.

وقال شكسبير: لا تأسف على ما مضى، ولا على ما ليس فيه حيلة. أرني رجلًا ليس عبدًا لهوى نفسه، فأضعه في صميم قلبي. كثيرًا ما يخيب الأمل، وأكثر خيبته متى كان كثيرًا. فلا ترض عزمك بآمال لا ثبات لها.

وقال ميجل ده سرفنتس: عصفور في اليد ولا اثنان في الشجرة.

وقالت الترك: لم أر معوجًّا شَبِعًا ولا مستقيمًا جائعًا.

وقالت الإنكليز: كن قانعًا بما قسم الله لك. ما يكون أكثر من الكفاف فهو زائد. إذا اقتصرت حاجتك على ما هو ضروري، كنت سعيدًا. اختر أفضل سبل المعيشة، فالعادة تُصيِّرها هنيئة.

وقالت العرب: القناعة كنز لا يفنى.

لـكـل حـال مـدة وتـنـقـضـي ما غـلـب الأيـام إلا مـن رضـي

* * *

إن القناعة من يَحْلُلْ بساحتها لم يلقَ في ظلها همًّا يؤرقه

* * *

هي القناعة فالزمها تعش ملكًا لو لم يكن فيها إلا راحة البدن
فإن من ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن؟

غيره:

واقنع ففي بعض القناعة راحة واليأس مما فات فهو المطلب

الفصل السادس عشر

الحرص، وهو الجشع والطمع

قال أفلاطون: من أخذ نفسه بالطمع الكاذب، كذَّبته الطبيعة الصادقة.

وقال بيليوس: إذا تملقتك الدنيا خانتك.

وقال فدروس: من يشتهِ مال غيره يفقد ماله.

وقال تنيسن: الطمع كماء البحر، زد منه شربًا تزد عطشًا. إليك عن الطمع والحرص والعجب والحسد، وانزع جذور الغيظ والخوف، واقطع من بيتك لسان النميمة، وسد الأذن التي تسمع الغيبة؛ لأنها كلها شر على الناس. من أراد الانفراد في أمر، كان ذلك وبالًا عليه.

وقال مصلح الدين سعدي: إياك وأن تسقط في شرك الحرص، أو تشرب كأس الطمع؛ لئلا تُجن وتسكر. لا تسرف على حياتك بإحراز الغنى، فإن وعاء الفخار ليس بقيمة الدرة. من وقع في فخاخ الطمع، كانت علة حياته طعامًا للرياح. لو كان لك مال قارون وكنوز الدنيا بأجمعها، فمصيرك الحزن والقبر. لماذا تتقلب في الجوى طمعًا بالغنى، فإنه يرحل عنك سريعًا؟

قد شاب رأسي ورأس الدهر لم يَشِبِ   إن الحريص على الدنيا لفي تعبِ

وقال قاسم أمين: عين الطماع حينما تبصر شيئًا تشتهيه، لها نظرة تحيط به وتحويه برمته وتحوزه، وتفعل في نفسك ما يفعله الاختطاف الحقيقي، هذه النظرة رأيتها كثيرًا عند المعتاد لعب القمار. كل مودة عقدها الطمع حلَّها اليأس.

هَبِ الدنيا تعاد إليك عفوًا   أليس مصير ذلك للزوال؟

وقال محمود الشاعر: المال شر لا بد منه، فمن شاء فليقنع، ومن شاء فليطمع.

وقال لابرويز: العبد له سيد واحد، والرجل الطماع يحب أن يكون عبدًا لكل فرد يساعد على سد مطامعه.

وقال كونتليان: الطمع في نفسه رذيلة، إلا أنه كثيرًا ما يكون أبًا لفضائل كثيرة.

وقالت الترك: القليل من الطمع يسبب كثيرًا من الضرر. من يأكل وهو شبع يحفر قبره بأسنانه. متى دخل قلب الإنسان التعبد للمال، خرج منه الدين والإيمان وحرية الضمير.

وقالت الإنكليز: ما يناله الإنسان بالحرام فعاقبته وخيمة. شرك الشيطان للشاب الجمال، وللبخيل المال، وللعالِم الضلال.

وقالت العرب: عزَّ من قنع، وذلَّ من طمع.

دع الحرص على الدنيا   وفي العيش فلا تطمع
وما تجمع من مال   فلا تدري لمن تجمع
فإن الرزق مقسوم   وسوء الظن لا ينفع
فقير كل ذي حرصٍ   غنيٌّ كل من يقنع

الفصل السابع عشر

الحسد

قال أفلاطون: الحسود ظالم ضَعُفت يده عن انتزاع ما حسدك عليه، فلما قصر عنك بعث إليك تأسُّفه.

ومما ثبت في الصحيفة الصفراء التي تقرأ في قرابين الهياكل: لا يرتفع الحسد عن أحد إلا رحمه الناس.

وقال نصر بن سيار:

لقد نشأت وحُسَّادي ذوو عدد　　يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
إن يحسدوني على ما كان من حسن　　فمثل حسن بلائي جر لي حسدا

وقال أرسطوطاليس: الحسد حسدان: محمود، ومذموم. فالمحمود أن ترى عالِمًا فتشتهي أن تكون مثله، أو زاهدًا فتشتهي مثل فعله. والمذموم أن ترى عالِمًا أو فاضلًا، فتشتهي أن يموت. إن الحسود يأكل نفسه كما يأكل الصدأ الحديد.

اصبر على كيد الحسو　　د فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها　　إن لم تجد ما تأكله

وقال الإمام علي: الحسد حزن لازم، وعقل هائم، ونفس دائم، والنعمة على المحسود نعمة، وهي على الحاسد نقمة. إن حسدك أخ من إخوانك على فضيلة ظهرت منك فسعى في مكروهك، فلا تقابله بمثل ما كافحك به فيعذر نفسه في الإساءة إليك، وتشرح له طريقًا إلى ما يحبه فيك، لكن اجتهد في التزيد من تلك الفضيلة التي حسدك عليها، فإنك تسوؤه من غير أن توجده حجة عليك. لا يرضى عليك الحاسد حتى يموت أحدكما.

الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه. إذا أراد الله أن يسلط على عبد عدوًّا لا يرحمه، سلط عليه حاسدًا. الحسد خُلق دنيء، ومن دناءته أنه موكل بالأقرب فالأقرب. يا عجبًا من غفلة الحساد عن سلامة الأجساد.

وقال هسيودس: الخزاف يحسد الخزاف، والصانع الصانع. الفقير ناقم على الفقير، والشاعر على الشاعر.

وقال سيفري: إخراج الذهب من البخيل أسهل من إخراج كلمة الثناء من فم الحسود.

وقال إسخولس: قَلَّ من يُسَرُّ بنجاح صديقه بلا حسد.

وقال شكسبير: لا يهدأ للحسود بال ما زال هناك أرفع منه.

وقال عثمان بن عفان: يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.

وقال قاسم أمين: إن كان في الوجود إنسان يستحق أن يُحسد على نعمته فهو العاشق.

وقالت الإنكليز: يهزل الحسود إذا سمن جاره.

وقالت الترك: الحسود كريم جاهل، يهب المجد لغيره ولا يدري. لا ترى الحسود إلا مغتاظًا.

وقالت العرب: عقوبة الحاسد من نفسه.

إن العرانين تلقاها مجسدة ولن ترى للئام الناس حُسَّادا

الفصل الثامن عشر

مذمة الناس

قال مركوس أوريليوس: إذا ذمك أحد أو أبغضك أو قال فيك سوءًا، فانظر إليه وتبصَّر في حاله، فترى أن لا داعي للاهتمام بما يظنه فيك خيرًا أو شرًّا.

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

لا تمكن أحدًا من قول يصدق فيك أنك منافق شرير، بل ليكذبن في ما يقوله، وهذا في طاقتك؛ لأن من يستطيع أن يمنعك لا يمنعك عن الصلاح والإخلاص. إذا احتقرني أحد فهو وشأنه، وأما أنا فشأني الحذر من كل قول أو عمل يوجب الاحتقار، وإذا أبغضني أحد فهو وشأنه، وأما أنا فشأني اللطف والمعروف لكل أحد.

وقال مرقس أنطونيوس: أتعب خلق الله من جعل همه كشف خبايا الآخرين، والاطلاع على أسرار الجيران. على الإنسان أن يكون مستقيمًا لكي لا يقوم.

وقال تنيسن: لا تبحث عن عيوب الناس. وإذا عثرت عليها عثورًا فمن الحكمة وكرم الأخلاق أن تتجاهلها، وتبحث عما قد يكون وراءها من الفضل.

وقال بولانو: علم لسانك أن يقول: لا أعلم. الإنسان يرى القذى الذي في عين قريبه، ولكنه لا يدري بالجسر الذي في عينه.

وقال يوربيدس: من ساءت مبادئه ساءت خواتمه.

وقال الإمام علي: أنكى لعدوك ألَّا تُريه أنك أخذته عدوًّا.

وقالت الإنكليز: من يفتش عن ذنوب الناس لا يرى غيرها. الكلام بلا تفكير كرمي السهم بلا تصويب. من يسيء إلى الغير ثم يهم ليستر ما به من الشر؟ أشره الناس من يعيش على النميمة، فإنه لا يشبع أبدًا. الذين ينددون بالناس كالذين يدخلون بيوت غيرهم ليصلحوا ما فيها، ويتركون بيوتهم للخراب. مجانبة الذم أعسر من كسب المدح؛

لأن المدح قد يُكتَسب بعمل واحد، وأما التخلص من الذم فلا يُنَال إلا إذا قضى المرء عمره لا يقول نكرًا ولا يفعل شرًّا. من يجعل الهزؤ سلاحًا لمقاومة الحق، وجد في يده نصلًا لا مقبض له ربما جرح به نفسه أكثر مما يجرح به غيره. كلمة حادة أقطع من سيف حاد.

وقال اليابانيون: اللسان الذي طوله ثلاث عقد قد يقتل رجلًا طوله ستة أقدام. اشتم جارك واحفر قبرين.

وقالت العرب: وخز اللسان أحدُّ من وخز السنان.

جراحات السنان لها التئام   ولا يلتام ما جرح اللسان

الفصل التاسع عشر

شر الناس

قال الإمام علي: أحسن الأشياء نفعًا موت الأشرار. لا تنازع جاهلًا، ولا تشايع منافقًا، ولا تعاون مسلطًا. للمنافقين علامات يُعرفون بها: تحيتهم لعنة، وطعامهم تهمة، وغنيمتهم غلول، لا يعرفون المعابد إلا هجرًا، ولا يأتون إلا دبرًا مستكبرين، لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل صحب بالنهار. إياك وصاحب السوء فإنه كالسيف المسلول، يروق منظره ويقبح أثره. أربعة من الشقاء: جار السوء، وولد السوء، وامرأة السوء، والمنزل الضيق. يا ابني، إن الشر تاركك إذا تركته. أسوأ الناس حالًا من لا يثق بأحد لسوء ظنه، ولا يثق به أحد لسوء أثره. لا دين لمن لا نية له، ولا مال لمن لا تدبير له، ولا عيش لمن لا رفق له. لا تسبنَّ إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر. إلى الله أشكو بلادة الأمين ويقظة الخائن. احذروا صولة الكريم إذا جاع، وصولة اللئيم إذا شبع.

وقال مركوس أوريليوس: الناس يحتقر بعضهم بعضًا، ويريدون التفوق بعضهم على بعض، ويتذللون بعضهم لبعض. ما بلغ أحد من السعاة ما إذا جاءت ساعة موته لم يسر بعض الناس بذلك، فإنه إذا كان صالحًا عاقلًا قالوا: قد تخلصنا من هذا المُعلم الذي يعيب أعمالنا. هذا ما يقولونه في الرجل الصالح، وأما نحن فكثيرون يريدون موتنا لأسباب شتى، فاذكر ذلك أيها الإنسان متى أتاك الموت، ومت راضيًا، وقل: إني راحل عن الحياة وهو ما يريده رفقائي الذين كثيرًا ما سعيت إلى خيرهم، ولعلهم يجدون في ذلك شيئًا من النفع لأنفسهم.

إذا أخطأ إليك أحد فاذكر هذه الأمور: أولًا: أنك أنت أيضًا تخطئ في أشياء كثيرة، وأنك بشر كغيرك، وأنك إذا امتنعت عن بعض الذنوب ففيك الميل إليها، ولا تعملها جبنًا أو خشية العار أو لسبب آخر حقير. ثانيًا: أنك لا تدري هل ما يعمله الناس شر مقصود أو لا؛ لأن كثيرًا من أعمالهم ناشئ عن مقتضى الحال، وأنه كثيرًا ما يتعسر على

الإنسان الحكم المصيب على أعمال غيره. ثالثًا: متى ضايقك الناس وأحزنوك، اذكر أن حياة الإنسان ليست إلا لمحة، إذا انقضت صرنَا جميعًا ترابًا. رابعًا: أن ما يأتي علينا من الغضب والقلق أشده ما نشعر به في أنفسنا، لا مما يكون في الأعمال الجائرة التي تسببه. خامسًا: أن الخُلق الطيب لا يُقهر إذا كان صحيحًا لا تصنعًا؛ لأنه ماذا يفعل بك الجائر الظالم إذا دمت على المعروف والإحسان إليه؟ سادسًا: انتظار عدم الشر من الأشرار جنون ومحال؛ لأنك إذا رأيتهم يسيئون إلى غيرك، فكيف تنتظر أنهم لا يسيئون إليك؟ امح العجب، واكسر الحدة، وأطفئ الشهوة، وأبق العقل ضمن حدوده.

وقال هسيودس: ما أكثر ما جنت مدينة كبيرة ثمار شرير واحد. من يصنع الشر لغيره يصنعه لنفسه. الشر كثير والسبيل إليه ميسور، وأما الخير فلا يُنال إلا بعرق الجبين، والسبيل إليه صعب المرتقى، أو له عقبات.

وقال إسخولس: أُفضل الجهل على العلم في سبل الشر.

وقال بيليوس: لا أمان لمن يعلم من نفسه أنه مجرم.

وقال أبيكتيتس: انتبه إلى كل يوم تغتاظ فيه، فقد كنت أغتاظ كل يوم، ثم صرت أغتاظ كل يوم ثانٍ، ثم كل يوم ثالث، ثم كل يوم رابع، وإذا مرت ثلاثون يومًا ولم تغتظ، فقرِّب ذبيحة شكرًا لله.

وقال يوفنال: ما من أحد يوغل في الشر دفعة واحدة.

وقال أفلاطون: قال كسنيفون: إني أجبن الناس؛ لأني لا أجسر على عمل الشر.

وقال مونتانيه: ما من إنسان تكشف أفكاره وأفعاله، إلا ويستحق الشنق عشر مرات.

وقال قاسم أمين: الشر لا فائدة منه مطلقًا، أما التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص، فهما أحسن ما يعالج به السوء ويفيد في الإصلاح.

وقال بولانو: الخاطئ جاهل كما أنه جانٍ.

وقال كستلو: إذا كان الشيطان وراء الباب، فإن قفل الشباك لا يفيد شيئًا.

وقالت الإنكليز: الأشرار يبغضون الشر في غيرهم. كل الناس يظنون أعداءهم أشرارًا. ميل الناس إلى الانتقام أشد من ميلهم إلى مكافأة المعروف. كثيرون يكونون شرًّا مما هم لو كان مالهم أكثر.

الفصل العشرون

العدل

قال أفلاطون: أفضل الملوك من بقي بالعدل ذكره، واستملى من أتى بعده فضائله.

وقال أرسطوطاليس: وعُرِف العدل بأنه إعطاء كل ذي حق حقه.

وقال الإمام علي: خف الضعيف إذا كان تحت راية الإنصاف أكثر من خوفك القوي تحت راية الجور، فإن النصر يأتيه من حيث لا يشعر، وجرحه لا يندمل.

وقال فلوطرخس: لا دين يضر المطل به مثل العدل.

وقال عمر بن عبد العزيز وقد كتب إليه عامل حمص يقول إنها تحتاج إلى حصن، فقال: حصِّنها بالعدل والسلم.

وقال سمعون الواعظ، وقد قال له السلطان محمود: عظني وأوجز. فقال له: افعل برعيتك كما تحب أن يفعل الله بك.

وقالت العرب: العدل أقوى جيش وأهنأ عيش. الأصبع التي تقطع بعدل الشريعة لا تؤلم.

عليك بالعدل إن وليت مملكة واحذر من الجور فيها غاية الحذر
فالملك يبقى مع الغر البهيم ولا يبقى مع الجور في بدوٍ وفي حضر

الفصل الحادي والعشرون

الظلم

قال الإمام علي: اختر أن تكون مغلوبًا وأنت منصف، ولا تحزن أن تكون غالبًا وأنت ظالم. زمان الجائر من السلاطين والولاة أقصر من زمان العادل؛ لأن الجائر مفسد والعادل مصلح، وإفساد الشيء أسرع من إصلاحه. يا عجبًا للناس قد مكنهم الله من الاقتداء به، فيدعون ذلك إلى الاقتداء بالبهائم.

وقال مركوس أوريليوس: من أساء فقد أساء إلى نفسه، ومن ظلم فقد ظلم نفسه؛ لأنه صيَّر نفسه رديئًا.

وقال لارشفوكول: أكثر الناس يحبون العدل خوفًا من أن يظلموا.

وقال بولانو: من لا يظلم الذين يظلمونه، ومن يصمت على الأذى، ومن يعمل خيرًا لأجل الخير، ومن يكن بشوشًا في الشدة؛ أولئك هم خلان الله. ليحذر الرجل إبكاء النساء؛ لأن الله يعد دموعهن. من كان سببًا لعقاب أحد ظلمًا، كان بعيدًا عن أبواب الجنة.

وقال شكسبير: الخطيئة الواحدة تجر إلى أخرى.

وقال مصلح الدين سعدي: لا تظلم الفقير الذي لا ناصر له وتنسى ضيق القبر. لا تسرع وتَجُر على أحد؛ لأن غضب الله سيدركك بغتة. لا تقهر المسكين؛ لأن الظالم هالك ولا محالة.

خف دعوة المظلوم فهي سريعة　　طلعت فجاءت بالبلاء النازل

وقال تنيسن: التوبة في الفكر، فيجب ألَّا تفكر بالآثام التي كانت نفسك تُسر بها. ما أقسى قلوب الرجال، فإنهم لا يبلغون مبلغ النساء في إيثارهن.

وقال محمود الشاعر: الناس بعضهم لبعض عدو حتى الأصدقاء. الظلم جنون. أفضل الجهاد جهاد الظلم.

الظلم في الناس طبعٌ والعدل منهم تكلف

وقيل إن الرشيد حبس أبا العتاهية، فكتب على حائط الحبس:

أما والله إن الظلم لؤم وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في المعاد إذا التقينا غدًا عند المليك مَن الظلوم

فأُخبر الرشيد بذلك، فبكى بكاءً شديدًا، ودعا أبا العتاهية فاستحله، ووهب له ألف دينار، وأطلقه.

وقالت الإنكليز: درهم الفقير إذا غُصِب كان جمرة نار في كيس الغني. دواء الضرر الإغضاء عنه. أنفع دواء للضرر النسيان. يضر نفسه من يضر غيره.

وقالت العرب: إياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم، فإنها تسري في الليل والناس نيام.

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم آخره يأتيك بالندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

* * *

وما من يد إلا يد الله فوقها ولا ظالم إلا سيبلى بأظلم

الفصل الثاني والعشرون

الحق والصدق

قال الإمام علي: أعسر الحيل تصوير الباطل في صورة الحق عند العاقل المميز.

وقال شكسبير: تكلم بما توقن، وليكن كلامك مطابقًا لما في نفسك. إذا كنت صادقًا، فلماذا تحلف؟ ليكن ودك صادقًا، وقلبك بعيدًا عن المكر بُعد السماء عن الأرض.

وقال أرسطوطاليس: الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب.

وقال مركوس أوريليوس: لا تُسر بشيء يضطرك إلى إخلاف وعدك أو الإقدام على عمل تهان به. لا تفعل ما لا تستصوبه، ولا تقل ما لا تصدقه. إذا استطاع أحد أن يقنعني أني على غير حق في قولي أو عملي، عدلت عنه عن طيب نفس؛ لأن الحق ضالتي، ومن يطلب الحق لا يضر، وإنما يضر من يبقى على غيه وجهله.

وقال صفوقليس: الضعيف المحق يغلب القوي المحقوق. الصدق أقوى الأدلة.

وقال تنيسن: سقيًا لمن أحب وقاسى وجاهد في سبيل الحق والإنصاف. من أطاع الناموس عاش بلا خوف. ومن اتبع الحق لأنه حق، فهو الحكيم ولو لم تحسن العواقب.

وقال إسخولس: لا نصدق الرجل بالقسم، بل نصدق القسم بالرجل.

وقال مونتانيه: أقول الصدق حسبما أجسر، لا حسبما أريد، وتزيد جسارتي بتقدمي في السن.

وقال فرنسيس باكن: لا لذة تقابل بلذة من ينصر الحق.

وقال فولتير: أحبب الحق، ولكن اصفح عن الخطأ.

وقال ميجل ده سرفنتس: وعد الحر مثل سنده.

وقال بولانو: الحق ثقيل، ولذلك كان الذين يرضون بحمله قليلين. خير الواعظين القلب، وخير المعلمين الزمان، وخير الكتب الدنيا، والله خير الواعظين.

وقالت الإنكليز: ليس للصدق والأمانة حاجة إلى التأكيد. الحق والزيت يرتفعان أبدًا. الحق لا يحتاج إلى كلام كثير، وللباطل حكاية طويلة. ليس من الحكمة أن يعلن الحق دائمًا. الصدق حسن في كل شيء إلى الإنسان، إلا في مدح نفسه. الصادق يُصَدق بلا يمين؛ لأن صيته يحلف عنه. كلمة الصادق حجة. قبل أن تصادق إنسانًا كُل معه رطلًا من الملح. لا تصدق أكثر من نصف ما تسمع عن غنى إنسان وصلاحه. لا تثق بصديق يعاديك ثم يصالحك. في الجدال الطويل يضيع الحق. المكر قد يفيد مرة، وأما الصدق فطويل الفائدة.

وقالت الترك: الكلام الصادق لا يحتاج إلى قسم. الحق مثل الفلين لا يغرق. يُمسك الثورُ من أذنيه، والإنسان من كلامه.

وقالت العرب: ما ذلَّ ذو حق وإن أطبق العالم عليه، ولا عزَّ ذو باطل ولو طلع من جيبه القمر. وعد الكريم ألزم من دين الغريم.

ومما قاله محمود الوراق:

الصدق منجاة لأربابه   وقربة تدني من الرب

الفصل الثالث والعشرون

الكذب

قال أفلاطون: من ضرر الكذب أن صاحبه ينسى الصورة الحقيقية المحسوسة، ويثبت في نفسه الصورة الوهمية الكاذبة، فيبني عليها أمره، فيكون غشه قد بدأ بنفسه.

وقال الإمام علي: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب. من صفة العاقل ألَّا يتحدث بما يستطاع تكذيبه فيه. الكذاب يخيف نفسه وهو آمن. أشد المشاق وعد كذاب لحريص.

ما أحسن الصدق في الدنيا لقائله   وأقبح الكذب عند الله والناس

وقال ديوجنس: احترم كلامك أكثر مما تحترم القسم، ولا تكذب أبدًا، ولا تستخف بالأمور الهامة.

وقال مصلح الدين سعدي: إياك يا أخي والكذب؛ لأن الكاذب محتقر لا يعتبره أحد. من يتعود الكذب زال النور من نفسه. الكذب يعيب المرء وينزع الشهامة منه. ليس للكاذب من مفر يوم الدين. يا بني، الكذب أقبح الذنوب، لا يُبقي للإنسان اسمًا كريمًا.

وقال كونتليانوس: على الكاذب أن يكون قوي الذاكرة.

وقال فدروس: من عُرف بالخداع ولو مرة لم يُصدَّق ولو تكلم الصدق.

وقال إسخولس: فم الله لا ينطق بالكذب، ولو كان مبدع الكلام.

وقال صفوقليس: الكذب لا يطول أجله.

وقال أوفيديوس: المستقيم يعبأ بالتهم الكاذبة.

وقال بركايوفا: الكذبة الأكثر شيوعًا في العالم هي الجملة المعروفة: «أتأسف كثيرًا.»

وقال مركوس أوريليوس: أفضل الناس من ترك العالم من غير أن يكذب، أو يدعي بما ليس فيه، ومن غير أن يتهتك أو يخادع.

سئل أرسطوطاليس: ماذا يستفيد الكاذبون من الكذب؟ فقال: عدم تصديق الناس لهم إذا صدقوا.

وقال تنيسن: أقبح الكذب ما نِصفه صدق.

وقال دي بارتاس: من يخلف وعده لا وعد له.

وقال مونتانيه: على ضعيف الذاكرة أن يقلع عن الكذب.

وقال بولانو: متى صدق الكاذب رأى عقابه في عدم تصديق الناس له. أربعة لا يدخلون الفردوس: المستهزئ، والكذاب، والمرائي، والنمام. النم كالقتل.

وقالت الإنكليز: من يكذب كذبة واحدة لا يعلم ما قد حمَّل نفسه من الحمل الثقيل؛ لأنه يضطر أن يخترع عشرين كذبة ليثبتها. الحق لا يحتاج إلى ناصر، وأما الكذب فيكلف الإنسان جهده في اختراع الأكاذيب لإثباته. احذر النمام كما تحذر العقرب. يبدأ الكذوب بخداع غيره، وينتهي بخداع نفسه. المرائي يخدع الناس بدفعه الزكاة لله.

وقالت العرب: حبل الكذب قصير. لو صُور الصدق كان أسدًا، ولو صُور الكذب كان ثعلبًا. أمران لا ينفكان من الكذب: كثرة المواعيد وشدة الاعتذار.

إذا عُرف الإنسان بالكذب لم يزل   لدى الناس كذابًا ولو كان صادقا
فإن قال لا تصغي له جلساؤه   ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقا

الفصل الرابع والعشرون

الغضب

قال أفلاطون: الغضب كالتابع الرديء الذي يحركك أولًا في مصلحتك، فإن أطعته حركك في مصلحته. السخيف من حرك غضبه على صورة اللفظ، والحصيف من حركه على حقيقة اللفظ والفعل، ولم يحرك منه إلا بمقدار ما يمنعه من الرحمة لمن لا يستحقها.

وقال مركوس أوريليوس: متى هاج الغضب فيك، اذكر أن من شيم الرجال الحلم واللين، لا إعطاء النفس هواها. وكلما كان المرء خاليًا من حدة الغيظ، كان أقرب إلى القوة.

وقال الإمام علي: لا تلاجَّ الغضبان فإنك تقلقه باللجاج، ولا ترده إلى الصواب. أول الغضب جنون وآخره ندم.

وقال بيليوس: غيظ المحبين يجدد قوة الحب. إذا صمت الأحمق ظُنَّ حكيمًا.

وقال إسخولس: الأحمق المفلح رزء ثقيل.

وقال سليم عنحوري: الأهل الحمق أعداء في صورة أحباء.

وقال بولانو: إذا ابتعدت عن الغضب ابتعدت عن الخطأ، وإذا ابتعدت عن الإفراط ابتعد عنك غضب الله. لا يُساءَل الإنسان عما يقوله في كآبته. لا تسكن قرب تقي أحمق.

وقال كورتس: الغضب لذة كثيرة النفقات، لا يستطيع أن يتمتع بها إلا من كان غنيًّا.

وقالت الإنكليز: الغضبان غضبه عليه لا له. الغضب في الرجل الصالح قصير المدة. قبل أن تغضب انظر: هل من سبب للغضب؟ الحماقة ألد الأعداء، والحزم خير الأصدقاء.

وقالت الترك: الغضب حلو وثمره مر، والنصيحة مرة وثمرها حلو. المداهنة لا يقع فيها إلا الأحمق. يصم الأحمق أذنيه عن الحق ويفتحهما للتملق. الأحمق والعنيد يزيدان ثروة المحامي.

ولم أر في الأعداء حين اختبرتهم عدوًّا لعقل المرء أعدى من الغضب

* * *

ليست الأحلام في حال الرضا إنما الأحلام في حال الغضب

الفصل الخامس والعشرون

أمثال صينية

الرجل العظيم يتراءى في ثلاث هيئات مختلفة: إذا نظرت إليه من بعيد تراه عظيمًا مهابًا، وإذا قرب منك تراه طلق المحيا لطيفًا، وإذا كلمك ظهر لك قاسيًا. قلما يجتمع التملق مع كرم الأخلاق. لا يحسن المتسلط سياسة بلاد كبيرة، ما لم يهتم بكل أمورها وموارد ثروتها، ويعنَ بمصالح سكانها كلهم. يجب على الأولاد أن يظهروا الحب للوالدين في البيت، والاحترام للشيوخ في الخارج، وأن يجعلوا الصدق ديدنًا لهم، ومحبة الناس غرضًا لحياتهم، وإذا وجدوا من الوقت متسعًا، فليستعملوه في اكتساب العلوم والفنون.

إذا لم يكن الرجل العظيم وقورًا لم يُوَقَّر، ولا رسخت تعاليمه في النفوس. ضع الولاء والإخلاص في مكان سامٍ. إذا أخطأت فلا تأنف من إصلاح خطئك. الولد البر بأبيه هو الذي لا يحيد عن وصاياه، حيًّا كان أبوه أو ميتًا. العاقل: من إذا أكل لم يفرط، ولم تَتُق نفسه إلى الملاذ، من يجدُّ في عمله ويصدق في قوله، من يتشبه بالكرام، يسير بالاستقامة. ليبنِ المتسلط سلطته على المبادئ القويمة، فيكون كنجم القطب الذي يبقى ثابتًا في مكانه، والنجوم كلها تدور حوله. المتسلط الذي يتمسك بصرامة القانون ويوجب الطاعة بالقصاص، يجعل رعيته قليلة الحياء كارهة لعمل الواجب. الرجل العظيم رحب الصدر بعيد عن المحاباة، والحقير على الضد منه. إذا لم تكلم من ينبغي أن تكلمه خسرته، وإذا كلمت من ينبغي ألَّا تكلمه خسرت كلامك، والحكيم لا يخسر رجلًا، ولا يخسر كلامًا. من لا يهتم بالغد يفاجئه الهم. كن كريمًا ولا تنتظر من الغير أكثر مما يحق لك، فلا تجد من يتذمر منك. الفاضل الذي يحسب الفضيلة أمرًا واقعيًّا،

ويستعملها كما تقتضيه الآداب، يبتدئ بالاتضاع، وينتهي بالإخلاص، وهو الفاضل بالحق. يشق على الفاضل أن يرى العجز من نفسه، لا أن يجهل الناس أمره. الفاضل يحترم نفسه ولا يخاصم، يعاشر الناس ولا يحازب، ولا يحترم القائل لأجل أقواله، ولا يحتقر الأقوال لأجل قائلها. من لا يرجع عن خطئه فقد أخطأ مرتين.

الفصل السادس والعشرون

أمثال مراكشية

المصائب لا تنتخب. المشي أفضل من الركض، والراحة أفضل من كليهما. في كل تمهل شيء من الخير، وقد تكون العجلة نعيمة. احرص على القريب؛ لأن الهلكة في البعد. رحب بالإنسانية ولا تسائلها من أين أتت. الذبابة لا تدخل الفم المطبق. عندما تكون سندانًا فاحتمل، وعندما تكون مطرقة فاضرب. البغل العاقل لا يفتخر بنسبه. إذا جاءت السعادة فشعرة تقودها، وإذا أدبرت فالسلاسل لا تقيدها.

الفصل السابع والعشرون

أقوال الحكماء والفلاسفة

في موت الإسكندر ذي القرنين المكدوني

قال فيليمون الحكيم: هذا يوم عظيم العبر، أقبل من شره ما كان مدبرًا، وأدبر من خيره ما كان مقبلًا، فمن فقد ملكه فليبكِ.

وقال أفلاطون: أيها الساعي المغتصب، جمعت ما خذلك، وولى عنك، فلزمتك أوزاره، وعلا على غيرك هناؤه.

وقال تاوون: صدر عنا إسكندر ناطقًا، وقدم علينا صامتًا.

وقال أرسطوطاليس: قل لرعية إسكندر: هذا يوم ترعى الرعية فيه راعيها.

وقال فيلن: هل يعزينا على ملكنا من لم تنله مصيبة؟

وقال آخر: هذه طريق لا بد من سلوكها، فارغبوا في الباقية رغبتكم في الفانية.

وقال آخر: كفى بهذه عبرة أن بالأمس الذهب كان كنز إسكندر، واليوم أصبح إسكندر مكنوزًا بالذهب.

وقال آخر: سيلحقك من سرَّه موتك كما لحقت من سرك موته.

وقال بلوطن الفيلسوف: لا تعجبوا ممن لم يعظنا في حياته، فقد صار بموته لنا واعظًا.

وقال مطران الحكيم: قد كنا أيها الشخص الجليل بالأمس نقدر على الاستماع منك ولا نقدر على القول، فهل تسمع الآن ما نقول؟

وقال آخر: لم يؤدبنا إسكندر بكلامه كما أدبنا بسكوته.

وقال ديمتر الحكيم: يا من كان غضبه الموت لِمَ لا غضبت على الموت؟

وقال آخر: خافت حصونك أيها الشخص، وأمنت حصون خائفيك.

وقال آخر: ما أصدق الموت لأهله! غير أنهم يكذبون عيونهم، ويصمون آذانهم.

وقال آخر: أيها الجميع لا تبكوا على من جاز البكاء عليه، بل فليبكِ كل رجل منكم على نفسه.

وقال فليقطن الحكيم: إن دنيا تكون هذه آخرها، فالزهد في أولها أولى.

وقال آخر: إن كان لا يُبكى على الموت إلا عند حدوثه، فالموت في كل يوم حادث.

وقال آخر: أيا هذا الذي كان غضبه مرهوبًا وجانبه ممنوعًا، فإن غضبت لا يفرق الموت منك، ولم لا امتنعت لتنفي الذل عنك؟

وقال آخر: لقد كنت مغبوطًا، فأصبحت مرحومًا، ولئن كنت مرتفعًا، فقد أصبحت متضعًا.

وقال آخر: كفى العامة أسواء بموت الملوك، وكفى الملوك عظة بموت العامة.

وقال آخر: قد كان صوتك مرهوبًا وملكك عاليًا، فأصبح الصوت وقد انقطع، والملك وقد اتضع.

وقال آخر: ما وعظنا إسكندر بعظة هي أبلغ من وفاته.

وقال آخر: لئن كنت بالأمس لا يأمنك أحد، فلقد أصبحت اليوم لا يخافك أحد.

وقال آخر: قد أوصيت إلى من كان له عليك دين، ولا بد من اقتضاء ذلك منك، فيا ليت شعري كيف كان صبرك عند اقتضاء الدين والحق منك؟

ولما فرغت الفلاسفة من الكلام، قامت زوجة إسكندر «روكسندرة» ابنة الملك داريوس ملك العجم، وكانت من أعز الناس إلى إسكندر، فوضعت خدها على التابوت، وقالت: ما كنت أحسبك أيها الملك بعد أن غلبت دار الدنيا أن ملكك يُغلب.

ثم قالت للفلاسفة: إن كان منطقكم في إسكندر هزؤًا، فقد خلف الكأس التي شربها معكم، فكلكم تشربونها؛ لأنها دين عليكم، وإن كانت تعزية وندبًا، فاستعدوا للجواب والحجة والاعتذار، فإنه ذاق ما ستذوقون، وليكن العمل على قدر القول، فإنكم غير آمنين.

الفصل الثامن والعشرون

أرسطوطاليس والمتنبي

للحاتمي

قال الإمام أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر الكاتب اللغوي المعروف بالحاتمي: لما رأيت أبا الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن الشاعر اللغوي المعروف بالمتنبي، قد أتى في شعره على أغراض فلسفية ومعانٍ منطقية؛ أردتُ الموافقة بين ما توارد به في شعره مع أرسطو في حِكَمه؛ لأنه إن كان ذلك عن فحص ونظر، فقد أغرق في درس العلوم، وإن يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق، فقد زاد على الفلاسفة في ذلك. وهو في الحالين على غاية الفضل، وقد أوردت من جمله ما يستدل بها على فضله.

أرسطو: إذا كانت الشهوة فوق القدرة، كان هلاك النفس دون بلوغها.

المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام

أرسطو: رم نقل الطباع من ذوي الأطماع شديد الامتناع.

المتنبي:

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

أرسطو: نفوس الحيوان أغراض لحوادث الزمان.

المتنبي:

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا   فأهون ما يمر به الوحول

أرسطو: إذا تجردت اللطائف من الشكوك، اكتسبت الصورة رونقًا.
المتنبي:

إذا خلعت على عرض له حُللًا   وجدتها أنت في أبهى من الحلل

أرسطو: الألفاظ المنطقية مضرة بذوي الجهل لِنَبْوِ إحساسهم عن دركها.
المتنبي:

بذي الغباوة من إنشادها ضرر   كما تضر رياح الورد بالجعل

أرسطو: تعاقب أيام الزمان مفسدة لأحوال الحيوان.
المتنبي:

فما ترجى النفوس من زمن   أحمد حاليه غير محمود

أرسطو: الزمان يُنشئ ويلاشي، ففناء كل قوم سبب لكون قوم آخرين.
المتنبي:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

أرسطو: يسيرٌ من ضياء الحس خير من كثير من درس الحكمة.
المتنبي:

فإن قليل الحب بالعقل صالح   وإن كثير الحب بالجهل فاسد

أرسطو: من علم أن الكون والفساد يتعاقبان الأشياء، لم يحزن لورود الفجائع؛ لعلمه أنه من كونها، وهان ذلك عليه؛ لعجز الكل عن دفع ذلك.

المتنبي:

إذا استقبلَتْ نفس الكريم مصابها　　بخبث ثنت فاستدبرته بطيب

أرسطو: النفوس المتجوهرة تأبى مقارنة الذلة، وترى فناءها في ذلك حياتها، والنفس الدنيئة بالضد من ذلك.

المتنبي:

فحب الجبان النفس أورده البقا　　وحب الشجاع الذكر أورده الحربا

أرسطو: ترك حركات الفلك تحيل الكائنات على جهاتها.

المتنبي:

ومن صحب الدنيا طويلًا تقلبت　　على عينه حتى يرى صدقها كذبًا

أرسطو: باعتدال الأمزجة وتساوي الإحساس يفرق بين الأشياء وأضدادها.

المتنبي:

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره　　إذا استوت عنده الأنوار والظلم

أرسطو: من لم يردك لنفسه فهو النائي عنك وإن تباعدت أنت عنه.

المتنبي:

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا　　ألَّا تفارقهم فالراحلون همُ

أرسطو: من علم أن الفناء مستولٍ على كونه، هانت عليه المصائب.

المتنبي:

والهجر أقتل لي مما أراقبه　　أنا الغريق فما خوفي من البلل

أرسطو: العيان شاهد لنفسه، والأخبار يدخل عليها الزيادة والنقصان، فأولى ما أخذ ما دل على نفسه بالنظر.

المتنبي:

خذ ما تراه ودع شيئًا سمعت به　　في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل

أرسطو: قد يفسد العضو لصلاح الأعضاء كالكي والفصد اللذين هما يفسدان الأعضاء.
المتنبي:

لعل عتبك محمود عواقبه　　وربما صحت الأجسام بالعلل

أرسطو: مباينة المتكلف المطبوع كمباينة الحق الباطل.
المتنبي:

لأن حلمك حلم لا تكلفه　　ليس التكحل بالعينين كالكحل

أرسطو: الرجاء تمنٍّ، والشك توقف، وهما الأمل.
المتنبي:

وأحلى الهوى ما شك في الوصل ربه　　وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقي

أرسطو: علل الأفهام أشد من علل الأجسام.
المتنبي:

يهون علينا أن تصاب جسومنا　　وتسلم أعراض لنا وعقول

أرسطو: من تخلى عن الظلم بظاهر أمره وغفت جوارحه وكان مساكنًا بحواسه، فهو ظالم.

المتنبي:

وإطراق طرف العين ليس بنافع   إذا كان طرف القلب ليس بمُطرق

أرسطو: من يجعل الفكر في موضع البديهة فقد أضر بخاطره، وكذلك من جعل البديهة موضع الفكر.

المتنبي:

ووضع الندى في موضع السيف بالعُلا   مضر كوضع السيف في موضع الندى

أرسطو: مباعدة الجواهر أبعد من التنائي بمباعدة الأجسام.

المتنبي:

وأتعب من ناداك من لا تجيبه   وأغيظ من عاداك من لا يشاكل

أرسطو: إذا لم تنصرف عن النفس شهواتها ومرادها، فحياتها موت، ووجودها عدم.

المتنبي:

ذل من يغبط الذليل بعيش   رب عيش أخف منه الحمام

أرسطو: الفرق بين الحلم والعجز أن الحلم لا يكون إلا عن قدرة، والعجز لا يكون إلا عن ضعف، فليس للعاجز أن يتسمى باسم الحليم وهو عاجز.

المتنبي:

كل حلم أتى بغير اقتدار   حجة تلتجي إليها اللئام

أرسطو: النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان، والنفس الكريمة ترى الأشياء بطبعها.

المتنبي:

من يَهُنْ يسهُلُ الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

أرسطو: الجاهل لا يحلو عنده طعم العلم، بل يجد له ثقلًا كما يثقل على المريض الأدوية النافعة، ويحلو له في فمه غير طعمها.

المتنبي:

ومن يكُ ذا فمٍ مُرٍّ مريض   يجد مُرًّا به الماء الزلالا

أرسطو: ليس جمال ظاهر الإنسان مما يستدل به على حسن فعله وفضله.

المتنبي:

لا يعجبن مصونًا حسن بزته   وهل يروق دفينًا جودة الكفن؟

أرسطو: أقرب القرب مودات القلوب وإن تباعدت الأجسام، وأبعد البعد تنافر القلوب وإن تقربت الأجسام.

المتنبي:

وأبعد بعدنا بعد التداني   وأقرب قربنا قرب البعاد

أرسطو: إذا كان البناء على غير قواعد، كان الفساد أقرب إليه من الصلاح.

المتنبي:

فإن الصرح يفسد بعد حين   إذا كان البناء على فساد

أرسطو: لا يجد لذة الحياة من لا يجد لشهوته دراكًا، ولا لأمر دراكه تصرفًا.

المتنبي:

من لا توافقه الحياة وطيبها   حتى يوافق عزمه الإنفاذ

أرسطو: من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل مواردها، لم يجزع لحلولها.
المتنبي:

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا   فلما دهتني لم تزدني بها علما

أرسطو: لحوق البغية صعب، وأعجز العجز من لم يعن عزمه في طلب الغاية.
المتنبي:

إذا قل عزمي عن هوى خوف بعده   فما بعد شيء ممكن يجد العزما

أرسطو: لا برح الفضل بترك الذم ثم التناهي في المدح.
المتنبي:

ومني استعار الناس كل غريبة   فحازوا بترك الذم إن لم يكن حمد

أرسطو: من قصر عن أخذ لذَّاته عَدِمها وعدم صحة جسمه.
المتنبي:

دع النفس تأخذ وسعها قبل بَينِها   فمفترق جاران دارهما العمر

أرسطو: من لم يرفع قدره عن قدر الجاهل، رفع الجاهل قدره عليه.
المتنبي:

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص   على هيبة فالفضل في من له الشكر

أرسطو: من أفنى مدته في جمع المال خوف العدم (الفقر)، فقد أسلم نفسه إلى العدم.

المتنبي:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

أرسطو: الذي لا يعلم بعلته لا يصل إلى بُرْئه.
المتنبي:

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ويجهل علمي أنه بي جاهل

أرسطو: حلول الفناء في عظيم الأمور كحلوله في صغيرها.
المتنبي:

فطعم الموت في أمرٍ حقير كطعم الموت في أمر عظيم

أرسطو: قبيح بذي الجودة أن يفارقه الجود؛ لأنهما إذا اعتدلا كانا كشيء واحد ويحق بهما اسمان.
المتنبي:

والغنى في يد اللئيم قبيح قدر قبح الكريم في الإملاق

أرسطو: العاقل لا يساكن شهوة الطبع لعلمه بزوالها، والجاهل يظن أنها باقية وهو باقٍ، فذاك يشقى بعقله، وهذا ينعم بجهله.
المتنبي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم

أرسطو: بالصبر على مضض الرئاسة تنال شرف النفاسة.

المتنبي:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

أرسطو: إن الحكيم تُريه الحكمة أن فوق علمه علمًا فهو يتواضع لتلك الزيادة، والجاهل يظن أنه قد تناهى فيسقط بجهله وتمقته النفوس.

المتنبي:

وما التيه طبي فيهمُ غير أنني بغيض إليَّ الجاهل المتعاقل

أرسطو وقد رأى غلامًا حسن الوجه، فاستنطقه، فلم يجد عنده علمًا، فقال: نعم البيت لو كان فيه ساكن.

المتنبي:

وما الحسن في وجه الفتى شرفًا له إذا لم يكن في فعله والخلائق

أرسطو: إذا تجوهرت النفس الفلسفية، لحقت بالعالم العلوي، فلا تسكن إلى الهمم الترابية.

المتنبي:

ولذيذ الحياة أوقع في النفس وأشهى من أن تمل وأحلى

أرسطو: الكلال والملال يتعاقبان الأجسام لضعف الجسم، لا لضعف آلة الحس.

المتنبي:

وإذا الشيخ قال أف فما ملَّ حياة ولكن الضعف ملَّا

أرسطو: الدنيا تطعم أولادها وتأكل مولودها.

المتنبي:

أبدًا تسترد ما تهب الدنيا   فيا ليت جودها كان بخلا

أرسطو: إذا كانت الأشياء فاعلة بالطبع لم تحمد على فعلها؛ لأن الشمس لا تُحمد على حرارتها ولا على ضوئها.

المتنبي:

رُبَّ أمر أتاك لا تحمد الفعـَّ   ـال فيه وتحمد الأفعالا

أرسطو: الجبن ذلة كامنة في نفس الجبان، فإذا خلا بنفسه أظهر الشجاعة.

المتنبي:

وإذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطعن وحده والنزالا

أرسطو: الغلبة بطبع الحياة، والمسالمة بطبع الموت، والنفس لا تحب أن تموت، فلذلك تحب أخذ الأشياء بالغلبة.

المتنبي:

من أطاق التماس شيءٍ غلابًا   واغتصابًا لم يلتمسه سؤالا

أرسطو: الإنسان شبح روحاني ذو عقل غريزي، لا ما تراه العيون من ظاهر الصورة.

المتنبي:

لولا العقول لكان أدنى ضيغم   أدنى إلى شرف من الإنسان

أرسطو: الظلم من طبع النفس، إنما يصدها عن ذلك خلتان: خلة دينية، وخلة دنيوية سياسية خوف الانتقام.

المتنبي:

والظلم من ظلم النفوس فإن تجد ذا عـفـة فـلـعِـلَّـة لا يـظـلـم

أرسطو: ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك: ولدك وعبدك وزوجتك، فسبب صلاحهم التعدي عليهم.

المتنبي:

من الحلم ما يستعمل الجهل دونه إذا اتسعت في الظلم طرق المظالم

أرسطو: كل ما له أول تدعو الضرورة إلى أن يكون له آخر.

المتنبي:

انعم ولُذ فللأمور أواخر أبدًا إذا كانت لهن أوائل

أرسطو: النفوس المجوهرة تشرك الشهوات البهيمية طبعًا لا خوفًا.

المتنبي:

وترى الفتوة والأبوة والمرو ءة عند كل مليحة ضراتها

أرسطو: من أثرى من العدم افتقر من الكرم.

المتنبي:

ورب مثرٍ فقير من مروءته لم يثر منه كما أثرى من العدم

أرسطو: إذا لم تتجرد الأفعال كان الإحسان إساءة.

المتنبي:

إذا الجود لم يرزق خلاصًا من الأذى فلا الحمد مكسوبًا ولا المال باقيا

أرسطو: ليس تغير مثل تغير الأفعال التي ترد غير مطبوعة، فإنها أشد انتقالًا من الريح الهبوب.

المتنبي:

وأسرع مفعول فعلت تغيرًا   تكلُّف شيء في طباعك ضده

أرسطو: أتعب الناس من قصرت مقدرته واتسعت مروءته.
المتنبي:

وأتعب خلق الله من زاد همه   وقصر عما تشتهي النفس وجده

أرسطو: أعظم الناس محنة من قل ماله وعظم مجده، ولا مال لمن كثر ماله وقل مجده.
المتنبي:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله   ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

أرسطو: من لم يقدر على الفضائل، فلتكن فضائله ترك الرذائل.
المتنبي:

إنا لفي زمن تَرْكُ القبيح به   من أكثر الناس إحسان وإجمال

أرسطو: تخليد الذكر في الكتب عمر لا يبلى، وهو كل يوم جديد.
المتنبي:

ذِكْر الفتى عمرُهُ الثاني وحاجته   ما فاته وفضول العيش أشغال

أرسطو: أعجز العجز من قدر على أن يزيل العجز عن نفسه فلم يفعل.
المتنبي:

ولم أر في عيوب الناس شيئًا   كنقص القادرين على التمام

أرسطو: اصطبار العقلاء ضد تمني الجهلاء، فالحاجة التي فيها نكر العاقل عليها يحسده الجاهل.

المتنبي:

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها   أني بما أنا باك منه محسود

أرسطو: لا غنى لمن ملكه الطمع فاستولت عليه الأماني.
المتنبي:

أمسيت أروح مثرٍ خازنًا ويدًا   أنا الغني وأموالي المواعيد

أرسطو: النفس الشريفة ترى الموت بقاء لدرك النفس في أماكن البقاء، فهذه حال يعجز الخلق عن دركها.
المتنبي:

سبحان خالق نفسي كيف لذتها   فيما النفوس تراه غاية الألم

أرسطو: من كان غذاؤه الأماني، مات دون بلوغ مراده.
المتنبي:

يعللنا هذا الزمان بذي الوعد   ويخدع عما في يديه من النقد

أرسطو: إذا كان سقم النفس بالجهل، كان الموت شفاءها.
المتنبي:

إذا استشفيت من داء بداء   فأقتلُ ما أعلك ما شفاكا

أرسطو: كره ما لا بد من كونه عجز في صحة العقل.
المتنبي:

نحن بنو الموت فما بالنا   نعاف ما لا بد من شربه

أرسطو: إننا نواسي الأرواح من كرور الأيام، فما بالنا نعاف رجوعها إلى أماكنها؟

المتنبي:

تبخل أيدينا بأرواحنا على زمان هنَّ من كسبه

أرسطو: اللطائف سماوية، والكثائف أرضية، وكل عنصر هو عائد إلى عنصره الأول.

المتنبي:

فهذه الأرواح من جوهر وهذه الأجساد من تربة

أرسطو: الزيادة في الحد نقص في المحدود.

المتنبي:

متى ما ازددت بعدًا في التناهي فقد وقع انتقاصي بازديادي

أرسطو: بإنفاذ سهم الحزم تدرك صحة العزم.

المتنبي:

مع الحزم حتى لو يعود تركه لألحقه تضييعه الحزم بالحزم

أرسطو: أواخر حركات الفلك كأوائلها، وإنشاء العالم كتلاشيه في الحقيقة لا في الحس.

المتنبي:

كثير حياة المرء مثل قليلها يزول وباقي عمره مثل ذاهب

أرسطو: أعظم ما على النفوس إعظام ذوي الدناءة.

المتنبي:

فإني رأيت الضر أحسن منظرًا وأهون من مرء صغير به كبر

أرسطو: عدم الغنى من النفس أشد من عدم الغنى من اليد والملك.
المتنبي:

غثاثة عيشي أن تغث كرامتي وليس بغثٍّ أن تغث المآكل

أرسطو: الحيوان كله معتل، وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض.
المتنبي:

لا تشكُ يومًا إلى خلق فتشمته شكوى الجريح إلى الغربان والرخم

أرسطو: النظر في عواقب الأشياء يزيد في حقائقها، والعشق عمى الحس عن درك الروية.
المتنبي:

لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي أسباه لم يسبه

أرسطو: آخر إفراط التوقي أول موارد الحزن.
المتنبي:

وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه

الفصل التاسع والعشرون

وصايا مفيدة[1]

أوصى بها السر متى هيل أولاده، وكان كبير قضاة الإنكليز في القرن السابع عشر: «كتبت إليكم يا أولادي الأعزاء هذه الوصايا فيما يتعلق بالكلام؛ لأن أكثر ما يصيب الإنسان من خير أو شر ناشئ عن الكلام، خيرًا كان أو شرًّا.

لا تقولوا أبدًا عن شيء إنه حق وأنتم تعلمون أو تظنون أنه باطل؛ لأن الكذب إثم عظيم لدى الله الذي وهبنا لسانًا ينطق بالحق لا بالباطل، وجناية على الناس؛ لأنه حيث لا تكون حرمة للصدق لا يكون أمن في المعاملات، وهو ضرر على الكاذب؛ لأنه يلحقه بالعار وبيت الخساسة في نفسه، فيصير يستصعب النطق بالحق، ومجانبة الكذب ولو لم يكن له موجب، ومصير الكذاب أن يكف الناس عن تصديقه، وأنه هو نفسه لا يكاد يعرف متى ينطق بالكذب.

وكما يجب عليكم الحذر من الكذب، فكذلك يجب عليكم الحذر من الاقتراب إليه كالإبهام والمراوغة، أو أن تثبتوا شيئًا لا دليل عليه إلا الإشاعة أو الظن أو الوهم.

وليكن كلامكم قليلًا، ولا سيما أمام من هم أكبر منكم، أو أمام الغرباء؛ لئلا تظهروا جهلكم، وتحرموا أنفسكم من فوائد المعرفة والحكمة والخبرة، التي كنتم تكسبونها منهم لو لم تُسكتوهم بكلامكم الفارغ.

لا تصخبوا في الكلام ولا تغلظوا، بل أفحموا الخصم بالحجة، لا بالصياح.

لا تقاطعوا المتكلم، بل اسمعوا ما يقوله إلى النهاية لكي تبلغوا غاية الفهم، وتحسنوا الإجابة.

---

[1] بقلم المرحوم الدكتور ورتبات (نقلًا عن المقتطف).

تأملوا قبل أن تتكلموا، ولا سيما إذا كان الموضوع خطيرًا، وزنوا معنى ما تريدون قوله والعبارات التي تقصدون استعمالها؛ حتى تكون دالة على المراد مطابقة لمقتضى الحال من غير أن تؤذي السامع، فإن الذين لا يفتكرون إلا متى شرعوا في الكلام، أو الذين يتكلمون ثم يتفكرون؛ هم الطائشون الذين لا يتبصرون في عواقب الأمور.

إذا كان جليسكم ممتازًا بمعرفة علم أو فن كالزراعة والتاريخ والرياضيات، فسوقوه إلى الحديث في ذلك الأمر، وانتبهوا لما يقوله، واحفظوه في ذاكرتكم أو اكتبوه، فإذا فعلتم ذلك جمعتم فائدة عظيمة ممن تحادثونهم، واكتسبتم ما تنتفعون به في أحوال كثيرة.

إذا كنتم بين جماعة عليهم سمات الخفة والطيش، فكونوا حذرين في محادثتهم ومعاملتهم؛ لكي لا تماثلوهم في ضلالهم.

إذا سمعتم أحدًا لا تعرفون فيه الصدق والرصانة يقص قصصًا غريبة، فلا تسرعوا إلى تصديقها وإذاعتها، ولكن إذا لم يكن من معارفكم الأخصاء، فلا تبادروا إلى معارضته، وإذا اضطررتم إلى إظهار رأيكم، فافعلوا ذلك بالحشمة والأدب، لا بالفظاظة والخشونة، فتتنزهوا عن إغاظة أحد وعن ملامتكم على سرعة التصديق.

احذروا أن تمدحوا أنفسكم، فإن ذلك دليل على أنكم لستم على شيء من الشهرة، ومدح النفس قبيح مكروه عن الناس أجمع.

امدحوا الغائب ما استطعتم إلى ذلك سبيلًا، ولا تغتابوا أحدًا إلا إذا كنتم على يقين أنه يستحق اللوم، أو أنه يُرجى به إصلاحه أو سلامة الغير منه.

ابعدوا عن الأقسام والشتائم والسب واللجاج.

اتقوا الهزء والسخرية بأحدٍ لِعَيبٍ فيه أو تشويه أو تظاهرًا منكم بما تحسبونه ذكاءً وليس هو كذلك، «ومن أمثال الإنكليز»: من يهزأ بالناس يُهزأ به، ومن يعض يُعض.

احذروا كلام المذمة والتهديد والحقد، فإن قول الخير يكسب الصداقة، وقول السوء يجلب العداوة، ومن الحزم اصطناع ما أمكن من الأصدقاء، ولا سيما إذا كان ذلك بالكلام الطيب. ومن الحمق أن تصيِّروا لكم عدوًّا بكلام سوء لا فائدة منه للمتكلم.

إذا أذنب إليكم أحد فقد يجوز أن توبخوه، وإذا كان المذنب إليه أكبر من المذنب، فالتوبيخ واجب، غير أنه يجب أن يكون بلا مذمة ولا شراسة، وإلا فلا يحصل منه الغرض المطلوب والفائدة المقصودة، بل يسخط المذنب، ولا يصلح الذنب، ويحق اللوم على اللائم.

إذا غضب أحد وأساء إليكم في الكلام، فالأولى أن تشفقوا عليه، لا أن تسخطوا، وإنكم لتجدون الصمت أو الجواب اللين أبلغ في الانتقام من الغضوب وهو يؤدي به إلى الرجوع عن غضبه، أو يكون توبيخًا صارمًا له وقصاصًا أليمًا.

وأوصيكم أخيرًا أن تشتغلوا بالأعمال المفيدة؛ لأن البطالة تربي الأفكار الباطلة الخبيثة التي تفسد القلب والسيرة. تلطفوا وتوددوا، وأكرموا الجميع، ولا تعاملوا الخدم بالقساوة والفظاظة.»

الفصل الثلاثون

وصايا فتاح هوتب لابنه[1]

إذا كنت عالمًا فلا تفتخر، بل حادث الجهلاء كما تحادث العلماء، وتعلم منهم؛ لأنه لا حد لما يستفيده الإنسان، ولو كان بارعًا.

إذا سمعت أحدًا يتكلم وهو حسن الخلق وأوفر منك حكمة، فأصغِ إليه، ولو كان مخالفًا لك في الرأي، ولا تعارضه في الكلام.

إذا كان المتكلم من أمثالك، فلا تصمت إذا قال بالسوء، بل قل خيرًا واكسب ثناء السامعين.

إذا كان المتكلم دونك منزلة، فلا تهزأ بحقارته، بل دعه يخجل من نفسه، لا تطارحه لكي تفتخر، ولا تغضب عليه، عار عليك إذا ربكت عقلًا حقيرًا.

إذا كنت رئيسًا مدبرًا لأمور الجمهور، فكن أبدًا كريمًا؛ ليكون عملك بلا عيب، فإن الحق عظيم يقضي بصراط مستقيم، ولم يُغلب أبدًا منذ خلق الكون. المعتدي يُعاقب؛ لأن للعدل حدودًا، لا تلق الرعبة بين الناس؛ لأن الله يعاقبك على ذلك.

إذا كنت رسولًا من أمير إلى أمير، فبلِّغ كما بُلِّغت، إياك أن تثير العداوة بتحريف الكلام، لا تتجاوز الحق، ولا تنقل كلامًا تكرهه الناس.

إذا كنت ذا منزلة وضيعة فاخدم رجلًا عاقلًا، وإذا عرفت رجلًا حقيرًا صار وجيهًا فلا تحتقره لما علمت من أمره، بل أكرمه فيما قد صار إليه. الغنى لا يأتي من نفسه، بل هو ما يُحرَز بالجد، وإذا جاهد المرء وجمع، كان ذلك من توفيق الله الذي يعاقب المتكاسل.

[1] بقلم المرحوم الدكتور يوحنا ورتبات (نقلًا عن المقتطف).

ليس لمن لا أولاد له أن يكون حسودًا؛ لأن الوالد قد يحزن ولو كان عظيمًا، ولأم الأولاد من الهم أكثر من غيرها. لكل إنسان نصيب مقدور من الله.

سر زمانك كله فيما يرتاح إليه قلبك، ولا تعمل أكثر مما أُمرت، وإذا كسبت مالًا فأنفقه في سبيله؛ لأنه لا فائدة من المال والقلب مهموم.

إذا سار ابنك سيرة صالحة وقد كنت له مثالًا فيها، فجُد عليه، ولكن إذا كان مسيبًا عاصيًا عنيفًا سفيهًا، فأدِّبْه واحجزه عن معاشرة الأشرار؛ لأنهم هم الذين يسوقونه إلى سبل الشر.

إذا عاشرت الناس فاكتسب محبتهم؛ لأن المحبة أول ما يطلبه القلب وآخره، لتكون سمعتك حسنة ولو لم تتكلم، وأما الطائع لشهواته فمكروه، وهو عدو لنفسه.

إذا كنت رئيسًا فألزم الناس بما تأمرهم به، ولا تسرف عليهم بالعطايا لئلا يحملهم ذلك إلى الذل والصغار والتواني.

إذا كنت رئيسًا فتلطف عند سماعك شكوى المستجير، ولا تدعه يتلجلج في كلامه لك، بل مره أن يتكلم بلا خوف، وأنصفه إذا كان مظلومًا.

إذا رمت دوام الصداقة في بيت تتردد إليه، فاحذر معاشرة النساء؛ لأنها قد أهلكت الألوف لأجل لذة عابرة كالحلم، وهي شر قد يأتي بالموت، والناس يجانبون الفاجر الزاني.

لا تضمر شرًّا لأحد، واحذر الطمع، ولا تشتهِ ما لقريبك.

عُل عيالك واكفهم، وأحبب زوجتك واسرُرْها ما دمت في الحياة، لا تكن شرسًا لها؛ لأن الليونة تعمل فيها أكثر من القساوة، وأعطها ما هي تريده. أشبع خدامك مما عندك؛ لأنه لا سلام في البيت الذي يسكنه خدمة بائسون.

لا تنقل كلام النم، ولا تُصغِ إليه، وإذا نُقل إليك فلا تسمعه، بل احنِ وجهك إلى الأرض لكي يُزجَر المتكلم.

الصمت خير من كثرة الكلام، ومن الحمق أن تتكلم في كل شيء لئلا يحجك خصمك.

إذا كنت وجيهًا فاطلب الكرامة لا من منزلتك، بل من العلم واللطف. لا يرتفع قلبك لئلا تتضع. تحكَّم ولكن لا تقاطع المتكلم. اضبط نفسك، ولا تجب بالغضب، ولا تشغل المشغول لئلا يكرهك، ولا تثقل على الحزين. سالم عدوك فيحبك. من يقضي كل نهاره في الحساب لا يكون سعيدًا، ومن يقضيه بالملاهي لا يكفي عياله، والحكيم من

يعدل فيهما. إذا ذهبت رسولًا للمصالحة فلا تتحامل لفريق منهما، وإذا طُلب منك الحكم فاستقم.

إذا أحسنت إلى أحد ولم يشكرك، فجانبه ولا تذكره بما قد كان.

إذا صرت عظيمًا بعد أن كنت حقيرًا، وصرت غنيًّا بعد أن كنت فقيرًا، وحزت العلم بالأمور المفيدة، وارتقيت في مراتب الشرف؛ فلا تفتخر، بل اذكر أنك صرت وكيلًا على ما خوَّلك الله، وأنك لست آخر من نالوا ما نلت.

إذا شئت أن تعرف خُلق أحد، فلا تسل قرينه، بل جربه.

كن طلق الوجه ما دمت حيًّا، فإن ما يدخل الخزانة يخرج منها.

من يسبب الخصام يجلب سوءًا لنفسه، فلا ترافقه؛ لأن ما يذكر به المرء بعد موته، إنما هو أعمال الحسنات والمعروف. الخصام بدل المودة من الحماقة.

إنما يأمر الله بالطاعة، ويكره المعصية، والنفس هي الأمارة بالبر والسوء. من يُطِعْ يُطَعْ. وأما الأحمق العاصي فعنده العلم كالجهل، والنافع كالمضر، فهو ضال مذموم، مُجتَنَب، كثير البلايا.

الفصل الحادي والثلاثون

إياك[1]

نواهٍ عامة

(١) إياك أن توبِّخ أبناءك أو خادميك أمام الناس، فإن لهم كرامة يجب حفظها.

(٢) إياك أن تحضر الأطفال في مجلس، وإياك أن تجلسهم إلى مائدة عليها ضيف من الضيوف.

(٣) إياك أن يكون لكلامك صيغة الأمر والسلطة إذا أمرت، فإن لمن هو دونك إحساسًا يجب مراعاته، وإنك لتنال منهم بقولك إذا خففت من لهجته طاعة لا تبلغها بغير ذلك؛ لأنها تكون يومئذ ممزوجة بالرضا.

(٤) إياك أن تشغل الناس بذكر أحوال منزلك لهم، أو تذكر لهم عن أخلاق خادميك شيئًا، ولا تشكُ لهم أمرًا منزليًّا على الإطلاق.

(٥) إياك أيها الزوج وإياكِ أيتها الزوجة أن تتكلما عن نفسيكما في المجالس، ولا يلاحظْ أحدكما على صاحبه أمرًا، ولا يلفت الناس إلى ما فيه من عيب أو شذوذ.

(٦) إياك أن تذكر أحاديث السوء والمعرة، أو تبلغ الغيبة أو النميمة إلى أهلها، وإياك أن تكشر للناس عن نابك، أو تجعلهم سخرية لك ومزحة، بل عوِّد نفسك السماحة واللطف لا الغلظة وخشونة الطبع.

[1] نقلًا عن كتاب «إياك» تعريب إبراهيم أفندي رمزي.

(٧) إياك أن تكون غياظًا، فإن في ذلك أذًى لا يُحتمل، واعلم أن الميل إلى إغاظة الأطفال أو القطط أو الكلاب لا يدل إلا على رعونة الفؤاد.

(٨) إياك أن تبخس الناس أشياءهم وتعلي شأن نفسك.

(٩) إياك أن تزدري أمرًا أو تذم رصيفًا لك في مهنة، فإن في ذلك دليلًا على قبح الذوق وقلة الهمة.

(١٠) إياك أن تستعير كتابًا لا ترده لصاحبه على عجل، وإذا استعرت كتابًا فاحترس عليه: لا تثنِ كعوبه، ولا تطوِ صحائفه، ولا تكتب على هوامشها أو تُبَقعها. اقرأ الكتاب واحرص أن يكون لديك بمثابة صاحب لا ينبغي إهانته.

(١١) إياك تفرط في اللعب على آلات الطرب، فإن لك جيرانًا لهم أعصاب يرجون ألَّا يدوم تأثرها بأثر التوقيع، وإذا استطعت ألَّا تعزف على الآلات في حضرة الغير إلا إذا كنت عالمًا بفنونها؛ فإنك تحسن بامتناعك عملًا.

(١٢) إياك أن تكون ذا أنانية، أو تكون ميالًا إلى التأكيد في كل شيء، لا تتهيج ولا ترغ ولا تزيِّد إذا وجدت خطأً. لا تكن كثير الصمت كثير العبوسة، ولا تكن كدر الطبع؛ فإنه إذا وُجد في العائلة فرد كدر حرمها الصفو والسلام، وإياك أن تكون لجيرانك أو عائلتك شقوة.

(١٣) إياك أن تتحدث بعمل خير فعلته.

(١٤) إياك إذا طلبت سؤلًا أن يدفعك له ظنك بما بينك وبين المسئول من آفة طويلة أو معرفة مبحث أثر الكلفة.

(١٥) إياك أن تفض خطابًا ورد باسم غيرك، حتى ولو كان أقرب الناس منك؛ فإن اللياقة تقضي حفظ شعور الغير مهما كان.

(١٦) إياك تتعجل بإبداء نصيحة لغيرك في شأن خاص بعائلته، قد تقول له: إن من كان مثلك له هذا الدخل جدير أن يعيش عيشة صفو وهناء، فاقتصد ودبر وأمرك. تبغي النصيحة، ولكنها نصيحة مبنية في الغالب على الجهل بوقائع الأمور، فالأمر إذن تداخل في شئون الغير الخاصة.

(١٧) إياك أن تظن أن في إرخاء شعر الرأس أو الكتف عن الرقبة أو الإتيان بشيء مخالف للعادة دليلًا على ذوق فني، أو أنك من أهل الشعر والأدب.

(١٨) إياك أن تزعم أن كبر سنك مرخص لك أن تنطق بكلام هجر، أو تلمح به تلميحًا، فإنه يحرج من كان دونك سنًّا، إلا أنه جدير بالعقل أن ينمو ويرقى كلما جد العمر بصاحبه.

(١٩) إياك تدعي أنك «رجل جد» تستحل بذلك إهانة الغير ومس كرامتهم، اعلم أن بين الجد والوقاحة فرقًا عظيمًا لا يخفى على الناس.

(٢٠) إياك أن تكون كثير السؤال، وإذا وجدت ممن تسأله ترددًا في الجواب، فلا ترهقه، فربما كان تردده في الإجابة خشية ذكرى أليمة أو أمور لا يلذ ذكرها.

(٢١) إياك ألَّا تنتهي بما تنهاك عنه «إياك» في هذا الخطاب، يجوز ألَّا ينطبق عليك أكثر ما جاء فيه، ولكن من ذا الذي ترضي سجاياه كلها؟

(٢٢) إياك إذا كنت مدعوًّا إلى وليمة أن تتأخر في الحضور، فإن في ذلك أذًى لمن أضافك ولغيرك من الضيوف، كما أن فيه تلفًا للوليمة ذاتها.

(٢٣) إياك أن تتأخر عن مواعيد الطعام في منزلك، فإنه يفقد الأنس العائلي ويخل النظام.

(٢٤) إياك أن تجلس إلى المائدة قبل أن يجلس من هم أكبر منك سنًّا أو مقامًا، وإياك أن تقوم إلى مائدة ما لم يدعُ صاحب الوليمة مدعويه إليها.

(٢٥) إياك أن يكون جلوسك إلى المائدة بعيدًا عنها بعدًا كبيرًا، وإياك أن تنحني عليها انحناء الأحدب.

(٢٦) إياك أن تعلق فوطة اليد في رقبتك كما تفعل الأطفال، أو تنشرها على ساقيك في جلوسك، اجعلها مدلاة على ركبتيك.